مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة التحقيـــق

وتنتظم دراسات عن :

عصر المؤلف ـــ حياة المؤلف ـــ كتاب المعارف

(١) عصر المؤلف :

بغداد :

لم تكن « بغداد » ـــ قبل أن أخذ أبو جعفر المنصور فى تأسيسها ـــ مدينة ملحوظة . بل كل ما نعرفه عنها أنها كانت أيام الأكاسرة والأعاجم قرية من قرى « بادُورِيا »(١) . وعلى حين كانت «المدائن» ـــ وهى قصبة الملك إذ ذاك ـــ تزهى بإيوان كسرى ، وتفيض أُبهة وجلالا ، لم تنضم « بغـداد » إلا على دَيْر كان على مَصب « الصَّراة »(٢) عرف باسم : الدَّير العَتيق .

ولم يكن حظ « بغداد » فى الأيام الأولى للعرب خيرا منهـا أيام الأعاجم . فلقد آتجه العرب إلى غير « بغداد » من مدن « العراق » يختطونها و يعمرونهـا ، فاختط سعد بن أبى وقاص « الكوفة » سـنة سبع عشرة من الهجرة ، وكان عندها عامل « عمر بن الخطاب »(٣) .

وآختط عُتبة بن غَزوان المـازنى « البصرة » فى السنة نفسها . وكان هو الآخر عاملًا لعمر بن الخطاب(٣) .

(١) بادوريا : بالجانب الغربى من بغداد . (معجم البلدان) .

(٢) الصراة : نهر يأخذ من نهر عيسى عند بلدة المحول و يصب فى دجلة . (معجم البلدان) .

(٣) البلدان لليعقوبى (بغداد) .

وجاءت الدولة الأموية وعلى رأسها «معاوية بن أبى سفيان» . وكان «معاوية» قبل أن يُكتب له هذا النصر عاملًا لعمر بن الخطاب على الشام، ثم لعثمان بن عفان عشرين عاما، وكان ينزل هو وأهله دمشق .

فما إن غلب على الأمر وأصبح السلطان إليـه حتى جعل « دمشق » مقرّ سلطانه، يلتفّ حوله آلهُ وأنصاره وأشياعه .

ونهضت « دمشق » وأصبحت محطّ رحال العلماء، ومُعترك الرأى، ومقصد ذوى الجاه، وأخذ شأنها يعلو والحضارة فيها تزدهر .

وعاشت على ذلك حِقبة، اتصلت أعوامها باتصال أعوام الدولة الأموية .

ولما أفضت الخلافة إلى بنى العباس مالوا عن الشام إلى العراق، يَميل بهم عن الأولى أنها مَعقل الأمويين ومُجتمع أنصارهم، ويَميل بهم إلى الثانية أنها مَهد دعوتهم ومكان شيعتهم .

وما يكاد « أبو العباس السفّاح عبد الله بن محمد بن على» يَلِي خلافة الهاشميين سنة ١٣٢هـ حتى يقصِد قَصْد «العراق» وينزل «الكوفة» ثم يتحول عن «الكوفة» إلى « الأنبار » ويأخذ فى بناء مدينة على شاطئ الفرات يسميها : الهاشمية[(١)] .

ويموت أبو العباس السفاح، ويجيء فى إثره أبو جعفر المنصور، يَلِي من أمر الهاشميين ما وليه أبو العبّاس من قبله، فيختار موضعا بين «الكوفة» « والحِيرة » يَبْنِي فيه مدينة، يُسميها هو الآخر: الهاشمية .

---

(١) معجم البلدان « الهاشمية » . البلدان لليعقوبي .

ونشــور الرّاوندية[1] بأبى جعفر المنصور فى مدينته « الهاشمية » فيكره سُكناها — وإلى جانب «الهاشمية» : «الكوفة» — وهو لا يأمن أهلها على نفسه ، فيخرج يرتاد له موضعا يتخذه مقاما له ولجُنده ، فينحدر إلى « جَرْجَرايَا » ، ثم يصير إلى « بغداد » ويتركها ويمضى إلى « الموصل » ثم يعود إليها ثانية[2] .

ويسأل «أبو جعفر» عن آسمها فيُخبر به ، فيقول : هذه والله المدينة التى أعلمنى بها أبى « محمد بن علىّ » أنّى أبنيها وأنزلها وينزلها ولدى من بعدى[3] .

وقيل إن متطببا نصرانيًّا «بالمدائن» هو الذى أنهى إلى « المنصور » — وقد علم السبب فى خروجه — أن رجلا يدعى مِقلاصًا[4] ، يبنى مدينة بين «دِجْلة» و «الصَّراة» ، فيقول المنصور : إنى والله كنت أدعى مقلاصًا وأنا صبىّ ، ثم زال عنى[5] .

ويقال : إن أبا جعفر لما عاد إليها من الموصل قال : هذا موضع معسكر صالح ، هذه «دجلة» ، ليس بيننا وبين «الصين» شىء ، يأتينا فيها كل ما فى البحر ، تأتينا الميرة من الجزيرة وأرمينية وما حول ذلك . وهذا « الفرات » ، يجىء فيه كل شىء من الشام والرَّقة وما حول ذلك . فنزل وضرب عسكره على الصراة وآختط المدينة[6] .

وفرغ أبو جعفر المنصور من بنائها ســنة ١٤٦ من الهجرة ، ونزلها مع جنده وسماها : مدينة السلام[7] .

---

(١) الراوندية : من الروافض الحلولية ، الذين قالوا بتناسخ روح الإله فى الأئمة . وقد آدّعى الراوندية هذا فى أبى مسلم ، صاحب دولة بنى العباس . (الفرق بين الفرق ١٦٣) .

(٢) الطبرى (٦ : ٢٣٤) مطبعة الاستقامة — الكامل لأبن الأثير (٥ : ١٤) طبع إدارة الطباعة المنيرية . (٣) البلدان لليعقوبى .

(٤) مقلاص : لص كان فى ناحيــة بغداد مشهور بالسرقة . لقبت المنصــور به داية كانت له ، حين أخذ غزلا لها ، وهو صغير دون علمها . وقد ذكر ياقوت تفصيل ذلك فى رسم « بغداد » .

(٥) الكامل لأبن الأثير . (٦) الطبرى . (٧) تاريخ بغداد (١ : ٧٨) .

والحديث طويل عن بناء أبى جعفر لبغداد، وما أعدّ لذلك ، وما أنفق فيه ، والحال التى أنشأها عليها، ورسمها لها، ساقه ياقوت فى : معجم البلدان، واليعقوبى فى كتابه : البلدان ، والطبرى فى تاريخه، وآبن الأثير فى كتابه : الكامل ، وآبن الخطيب فى كتابه : تاريخ بغـداد ، والأصطخرى ، وآبن حوقل ، والمقدسى ، والبلاذرى ، وآبن جُبير، وآبن بطوطة ، ثم علىّ ظريف الأعظمى فى كتابه : « مختصر تاريخ بغداد القديم والحديث »[1] ، وكارل بروكلمان فى كتابه : تاريخ الشعوب الإسلامية[2] ، والخضرى فى كتابه : تاريخ الأمم الإسلامية[3] .

* * *

وتبقى « بغدادُ» مُقام الخلفاء العبّاسيين حتى أيام المعتصم بالله محمد بن هارون الرشـيد (٢١٨ هـ — ٢٢٧ هـ) ويُكثر المعتصم من الجند الأتراك حين يسوء ظنُّه بالعرب من حوله ، وتضيق «بغداد» ذَرْعًا بهؤلاء الجند ، ويرى «المعتصم» أنْ لا غنى له عنهم ، ولا مُقام له ببغداد بهم ، فيخرج بهم من « بغداد» إلى «سُرَّ مَنْ رَأَى» التى آبتناها وجعلها دارا للخلافة ، وكان ذلك سنة ٢٢١ هـ[4] .

ويثور الجند الأتراك بالخليفة المهتدى بالله ويقتلونه ، ويلتفون حول «المعتمد على الله العباس بن أحمد» ويقيمونه خليفة (٢٥٦ هـ — ٢٧٩ هـ) .

وقبل وفاة «المعتمد» بعام — أى سنة ٢٧٨ هـ — يعود إلى « بغداد» ويجعلها دارا للخلافة كما كانت من قبل .

---

(١) طبع فى مطبعة الفرات ببغداد سنة (١٣٤٤ هـ — ١٩٢٦ م) .

(٢) الترجمة العربية (٢ : ٨) دار العلم للملايين — بيروت .

(٣) طبع فى مطبعة الاستقامة سنة ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م .

(٤) الطبرى — ابن الأثير — البلدان .

الخلفاء والنهضة العلمية والأدبية :

وما إن نزل المنصور « بغداد » بعد أن ابتناها منتقلا عن « الهاشمية » إليها، حتى نقل إليها خزائنه ودواوينه، وفرغ لنشر العلوم، واستدعى إليه المترجمين .

فقدم عليه عام ست وخمسين ومائة رجل من الهند ، عالم بحساب النجوم ، بكتاب مؤلف فى ذلك، فيأمر « المنصور » بترجمته إلى العربية .

ومن قبل ذلك ترجم ابن المقفع (١٠٦ هـ - ١٤٢ هـ) له كتب أرسطاطاليس فى المنطق ، وكتاب كليلة ودمنة[١] .

وقرّب إليه علماء الفقه والحديث ، وحَسْبُهُ أنّ عَهده أظـلّ منهم أمثالَ أبى حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠هـ - ١٥٠هـ) صاحب التآليف النافعة[٢] .

هذا إلى ماعُرِفَ عن « المنصور » من أنه كانت له مُدوّنات علميـة ، وكان شديد الولع بها والحرص عليها، ويقال أنه أوصى بها ابنه « المهدى » عند وفاته[٣] .

ثم لقد كان « المنصـور » من أحسن رُواة الحديث ، وله ذوق فى الشعر ، يقوى به على نقد الشعراء، ومعرفة جيد القول من رديئه، والمنحول والمسروق[٤] .

ويروى أبو الفرج الأصبهانى أن المنصور لمـا مات ابنـه جعفر ، وانصرف إلى قصره بعد دفنه، قال للربيع وزيره : انظر مَن فى أهلى يُنشدنى :

* أمن المنون وريبها تتوجع *

(١) طبقات الأمم لابن صاعد طبعة بيروت .

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية (٢ : ١١)

(٣) ابن الأثير (٦ : ٧) .

(٤) البيـان والتبيين (٢ : ١٥٦) .

حتى أتسلّى بهـا عن مُصيبتى . « فطلب » الربيع ذلك فى بنى هاشم ، فلم يجد من يستطيعه . فقال المنصور : والله لمُصيبتى بأهل بيتى ألاّ يكون فيهم واحد يحفظ هذا لِقلة رغبتهم فى الأدب ، أعظم وأشد علىّ من مصيبتى بآبنى[(1)] .

* * *

وهكذا أسس « المنصور » لحياة علمية أدبية فى « بغداد » ، وكان أول من أنشأ بها مدارس للطب والعلوم الدينية ، أنفق فى سبيلها أموالا طائلة[(2)] .

وحسبه أنه لم ينس ، وهو يُقطع القطائع فى بغداد ، أن يُقطع الشعراء والكُتاب ، فأقطع أبا دُلامة زَنْد بن الجَوْن الشاعر (١٦٠هـ) كما أقطع آبن أبى سعلى الشاعر ، وكذلك أقطع عُمارة بن حمزة الكاتب (١٨٠ هـ)[(3)] .

وعلى هذه الحال التى بدأ بها «أبو جعفر» سارت الحياة فى «بغداد» ، لم يتخلف عنها آبنه « المهدىّ » ، فقد كان هو الآخر نقادة للشعر أديبا[(4)] .

وفى أيامه وضع له وزيره «أبو عبيد الله معاوية بن يسار» كتاب الخراج ، ذكر فيه أحكامه الشرعية ودقائقه وقواعده .

وهو أوّل من صنف كتابا فى الخراج ، وتبعه الناس بعد ذلك فصنفوا فى هذا الفن[(5)] .

وألف له « المفضل الضبي » المفضليات .

---

(١) الأغانى (٦ : ٦١) . (٢) تاريخ بغداد القديم والحديث (ص ١٠) .

(٣) تاريخ بغداد (١ : ٨٦ — ٨٧) .

(٤) إرشاد الأريب (٦ : ٣ — ١١) الأغانى (٣ : ٥٥) .

(٥) تاريخ الأمم الإسلامية (٨٩) .

وفى حجر «المهدى» نشأ ابنه «إبراهيم» أديبا شاعرا موسيقيا . ولقد شارك فى التأليف، فألف كتابا فى الأدب سماه «أدب إبراهيم» ، وكتابا فى الطبخ ، وآخر فى الطب، وكتابا فى الغناء . إلا أنها كلها لعبت بها يد الزمان فضاعت فيما ضاع [1] .

* * *

وتنتقل الأمور إلى الرشيد (١٧١ هـ — ١٩٣ هـ) ولم يكن دون سابقيه رغبة فى العلم، وحبا للعلماء، وولوعا بالأدب. ولقد حكى عنه أنه كان يحفظ شعر ذى الرمة [2] .

ولقد أفسح للعلماء والحكماء والأدباء ، و بذل الكثير من المال لنشر العلوم والفنون ، و بلغت «بغداد» فى أيامه مكانة لم تظفر بها مدينة فى ذلك العهد .

وأصبحت مهد الحضارة، ومركزًا للفنون والآداب، وزخرت بالأدباء والشعراء والعلماء والحكماء .

وأنشئت فيها المراصد والمكتبات والبيمارستانات والمدارس . و إليه يعزى تأسيس بيت الحكمة، الذى جَمع له من الكتب شيئا كثيرا، وكان مُجتمع المتصلين بالعلم ، والمشتغلين بالفن ، والراغبين فى الأدب [3] .

* * *

و يَلى الخلافة «الأمين» (١٩٣ هـ — ١٩٨ هـ) فتُشغل «بغداد» شيئا بالفتنة التى ثارت بينه و بين أخيه «المأمون» .

ولكن الزمن لا يمتد بتلك الفتنة كثيرا حتى يمضى «الأمين» مقتولا، و يقبض المأمون (١٩٨ هـ — ٢١٨ هـ) على زمام الأمر ، و يعود إلى «بغداد» نشاطُها العلمى والأدبى .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية (٢٢) .　　(٢) الأغانى (٧ : ٣٩) .
(٣) مختصر الدول لابن العبرى .

و يتجه «المأمون» إلى بيت الحكمة الذى أسسه أبوه «الرشيد» فيُفرد فيه لكل عالم رُكْنًا، فتزدحم جَنَبات هذا البيت بالعلماء والفلاسفة والمترجمين والمؤلفين وأئمة اللغة ورجال الأدب[1] .

ففى عهـده بدأ أبو يوسف يعقوب الكندى ، فيلسوف العـرب ، نشاطه الفكرى الذى لم يقف عند التعريف بالفلسفة الأرسطوطاليسية والأفلاطونية عن طريق الترجمـة والاقتباس ، بل عدا ذلك إلى دراسات فى التاريخ الطبيعى وعلم الظواهر الجوية .

وفى عهـده ترجم « الحجاج بن يوسف بن مطر » مصنفات « إقليدس » ، وكتاب بطليموس ، المعروف بالمجَسطى .

وفى أيامه وضع « محمد الخوارزمى » أول كتاب مستقل فى الجبر[2] .

* * *

ولم تفقد «بغداد» حظها العلمى والأدبى فى الأيام الأولى من حياة «المعتصم» (٢١٨ هـ — ٢٢٧ هـ) . ولكنه ما كاد ينتقل عنهـا فى سنة ٢٢١ هـ إلى مدينتـه الجديدة «سُر من رأى» حتى بدأت الحياة العلمية والأدبية فى «بغداد» تخْبو قليلا . و بقيت على ذلك فترة آمتدّت إلى أواخر أيام الخليفة «المعتمد على الله» حتى إذا ما عاد إليها سنة (٢٧٩ هـ) دبت فيها الحياة مرة ثانية ، وعاد إليها نشاطها .

* * *

مظاهر الحياة الأدبية والعلمية ببغداد :

وهكذا مهّد الخلفاء لحياة زاهية ، انتعش فيها الأدب ، وانتعشت العلوم والفنون ، وشارك فى هذا وذاك جم غفير زَخرت بهم « بغداد » .

(١) الفخرى لابن الطقطق . (٢) تاريخ الشعوب الإسلامية (٢ : ٣٩ — ٤١) .

ويسجل لها التاريخ فى المائة العام الأولى من تأسيسها صور هذا النشاط ، فترى أن ذلك القرن عاش فيه من الشعراء جملة ، كان لهم الشعر الحى الخالد ، منهم :

(١) مطيع بن إياس — الذى انقطع إلى جعفر بن أبى جعفر المنصور[(١)] .

(٢) أبو دلامة زند بن الجون (١٦١ هـ) الذى انقطع إلى أبى العباس السفاح ، والمنصور ، والمهدى[(٢)] .

(٣) حماد عجرد (١٦١ هـ) — وقد وفد على بغداد أيام المهدى[(٣)] .

(٤) بشار بن برد (١٦٧ هـ) — وقد نشأ فى البصرة ، ثم قدم « بغداد » بعد أن بناها المنصور[(٤)] .

(٥) صالح بن عبد القدوس (١٦٧ هـ) — نشأ بالبصرة ووفد على الرشيد ببغداد[(٥)] .

(٦) السيد الحميرى (١٧٣ هـ) نشأ بالبصرة ووفد على الرشيد ببغداد[(٦)] .

(٧) مروان بن أبى حفصة (١٨١ هـ) قدم بغداد ومدح المهدى ثم الرشيد[(٧)] .

(٨) سلم الخاسر (١٨٦ هـ) وكان مداحا للبرامكة[(٨)] .

---

(١) الأغانى (١٢ : ٧٨ ، ١٣ : ٨٥ ، ٢١ : ٩٧) .

(٢) الأغانى (٧ : ١٣٠) وفيات الأعيان (١ : ١٩٠) الشعر والشعراء (٤٧٨) طبقات الشعراء لابن المعتز (٥٤) .

(٣) الأغانى (١٣ : ٧٣) وفيات الأعيان (١ : ١٦٥) الشعر والشعراء (٤٩٠) ابن المعتز (٦٧) تاريخ بغداد (٨ : ١٤٨) ،

(٤) الأغانى (٣ : ١٩ ، ٦ : ٤٨) ، ابن خلكان (١ : ٨٨) الشعر والشعراء (٤٧٦) ابن المعتز (٢١) تاريخ بغداد (٧ : ١١٢) .

(٥) ابن المعتز (٩٠) معجم الأدباء — تاريخ بغداد (٩ : ٣٠٣) فوات الوفيات (١ : ١٩١) .

(٦) الأغانى (٧ : ٢) ابن المعتز (٣٢) .

(٧) تاريخ بغداد (١٣/١٤٢) الأغانى (٩ : ٣٦) الشعر والشعراء (٤٨١) .

(٨) تاريخ بغداد (٢٤٢) الأغانى (٢١ : ١١٠) ابن المعتز (٩٩) .

(٩) منصور النمرى — وكان موصولا بالرشيد[١] .

(١٠) أبان بن عبد الحميـد — وهو الذى نظم كتاب كليلة ودمنة شـعرا . وكان موصولا بالبرامكة[٢] .

(١١) العباس بن الأحنف (١٩٢ هـ) — سكن بغداد إلى أن توفى[٣] .

(١٢) أبو الشيص محمد بن رزين (١٩٦ هـ) — وكان معاصرًا لأبى نواس[٤] .

(١٣) أبو نُواس الحسن بن هانئ (١٩٨ هـ) — ولد فى الأهواز ، ونشأ بالبصرة ، ثم انتقل إلى الكوفة ثم إلى بغداد[٥] .

(١٤) ابن مناذر محمد (١٩٨ هـ) — من شعراء البرامكة ، واتصل بالرشيد[٦] .

(١٥) الرقاشىّ الفضل بن عبد الصمد (٢٠٠ هـ) — من أهل البصرة ، وانقطع إلى البرامكة[٧] .

(١٦) أشجع السلمى — اتصل بالبرامكة ، ثم اتصل بالرشيد[٨] .

(١٧) ربيعة الرقى بن ثابت الأنصارى — اتصل بالمهدى ، والرشيد[٩] .

---

(١) تاريخ بغداد (١٣ : ٦٥) ابن المعتز (٢٤٢) الأغانى (١٢ : ١٧) ابن قتيبة (٥٤٦) .

(٢) تاريخ بغداد (٧ : ٤٤) الأغانى (٢٠ : ٧٣) الفهرست لابن النديم (١٦٣) .

(٣) تاريخ بغداد (١٢ : ١٢٨) والموشح (٢٩٠) الأغانى (٨ : ١٥) ابن خلكان (١ : ٢٤٥)

(٤) تاريخ بغداد (٥ : ٤٠١) الأغانى (١٥ : ١٠٨) ابن قتيبة (٥٣٥) .

(٥) تاريخ بغداد (٩ : ٤٣٦) ابن المعتز (١٩٣) ابن قتيبة (٥٠١) .

(٦) الأغانى (١٧ : ٩) ابن المعتز (١١٩) ابن قتيبة (٥٥٣) .

(٧) تاريخ بغداد (١٢ : ٣٤٥) ابن المعتز (٢٢٦) ابن قتيبة (٥١٥) الأغانى (١٥ : ٣٥) .

(٨) تاريخ بغداد (٧ : ٤٥) ابن المعتز (٢٥١) الأغانى (١٧ : ٣٥) وابن قتيبة (٥٦٢) .

(٩) الأغانى (١٥ : ٣٩) خزانة الأدب (٧/٥٥) ابن المعتز (١٥٧) نكت الهميان (١٥١)

(١٨) مسلم بن الوليد (٢٠٩ هـ) — اتصل بالبرامكة، ثم المـأمون[١] .

(١٩) أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم (٢١١هـ)— نشأ بالكوفة، ثم وفد على بغداد أول خلافة المهدى[٢] .

(٢٠) العكوّك علىّ بن جبلة (٢١٣ هـ) — من أهل بغداد، بها ولد ونشأ[٣] .

(٢١) كلثوم بن عمرو العتابى (٢٢٠ هـ) — اتصل بالرشيد[٤] .

* * *

هذا ركن من أركان الحياة الأدبية فى « بغـداد » ، يصوّر الناحية الشعرية وما اتسعت له من شعراء، وما امتلأت به من شعر .

وكان إلى جانب الشعراء : الرُّواة ، والإخباريون ، والنسابة ، يفيضون على النـاس من علوم السلف وأخبارهم ما يزيد فى ثقافتهم ، ويصلهم بتراثهم ، نسوق لك منهـم :

(١) أبا عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٩ هـ) — نشأ بالبصرة ، ووفـد على الخلفاء ببغداد . ذكر له ابن النـديم فى كتابه « الفهرست » مائة مؤلف وخمسـة فى موضوعات شتى، فى : القرآن، واللغة، والأمثال، والفتوح، والأنساب والمثالب، وبيوتات العرب، وأيامهم، والتراجم .

---

(١) تاريخ بغداد (١٣ : ٢٦) ابن المعتز (٢٣٥) ابن قتيبة (٥٢٨) .

(٢) تاريخ بغداد (٦ : ٢٥) ابن المعتز (٢٢٨) ابن خلكان (١ : ٧١) .

(٣) تاريخ بغداد (١١ : ٣٥٩) ابن المعتز (١٧١) ابن قتيبة (٥٥٠) ابن خلكان (١ : ٣٤٨) الأغانى (١٨ : ١٠٠) .

(٤) تاريخ بغداد (١٢ : ٤٨٨) ابن المعتز (٢٦١) المرزبانى (٣٥١) الأغانى (١٢ : ٢) .

ولم يصلنا من هذه كلها إلا كتابه : نقائض جرير والفرزدق[1] .

(٢) الأصمعى عبد الملك بن قريب (٢١٤ هـ) — نشأ فى البصرة . وقـدم بغداد فى أيام الرشيد . ثم عاد عنها إلى البصرة لمـا ولى المأمون .

ذكر له ابن النديم فى كتابه «الفهرست» نيفاً وأربعين كتابا فى موضوعات مختلفة ، ذهب معظمها . وممـا بقى له :

(ا) الأصمعيات . مجموعة مختارة من الشعراء .

(ب) رجز العجاج .

(ج) أسمـاء الوحوش .

(د) كتاب الإبل .

(هـ) « خلق الإنسان .

(و) « الخيـل .

(ز) « الشـاء .

(ح) كتاب الدارات .

(ط) « الفـــرق .

(ى) « النبات والشجر .

(ك) « النخل والكروم .

(ل) « الغريب[2]

---

(١) تاريخ بغداد (١٣ : ٢٥٢) أخبار النحو يين (٦٧) إنباه الرواة للقفطى (٣ : ٢٧٦) بغية الوعاة (٣٩٥) كما قد ترجم له ابن قتيبة فى هذا الكتاب .

(٢) تاريخ بغداد (١٠ : ٤١٠) أخبار النحو يين (٥٨) إنباه الرواة (٢ : ١٩٧) ابن خلكان (١ : ٢٨٨) طبقات القـراء (١ : ٤٧٠) . اللبـاب لابن الأثير (١ : ٥٦) . مرآة الجنان (٢ : ٦٤) وقد ترجم له المؤلف فى هذا الكتاب .

(٣) أبا زيد سعيد بن أوس الأنصارى (٢١٥ هـ) — نشأ بالبصرة، وقدم بغداد حين قيام المهدى . ومن كتبه التى بقيت لنا :

(ا) كتاب النوادر فى اللغة .

(ب) « المطر .

(جـ) « اللبن[1] .

(٤) أبا عبيد القاسم بن سلام (٢٢٣ هـ) — عاصر المأمون ، وكان منقطعا إلى عبد الله بن طاهر .

ذكر له ابن النديم بضعة وعشرين كتابا ، لم يصلنا منها إلا :

(ا) كتاب غريب الحديث .

(ب) « « المصنف .

(جـ) « الأمثال .

(د) « فضائل القرآن .

(هـ) « المواعظ[2] .

* * *

وغير هؤلاء الرُّواة رُواة آخرون غلبت عليهم رواية الشعر ، فكانوا حفظته ، وإليهم كان المرجع فيه ، نذكر منهم :

(١) حمادًا الراوية (١٥٦ هـ) — نشأ فى الكوفة ، وقدم على المنصور بغداد ، وهو الذى جمع المعلقات التى بين أيدينا ، وجمع أشعار أكثر القبائل ، وجمع

(١) تاريخ بغداد (٩ : ٧٧) وفيات الأعيان (١ : ٢١٧) أخبار النحو يين (٥٢) إنباه الرواة (٢ : ٣٠) معجم الأدباء (١١ : ٢١٢) تهذيب التهذيب (٤ : ٣) طبقات الزبيدى (١١٦)

(٢) وفيات الأعيان (١ : ٤١٨) إنباه الرواة (٣ : ١٢) طبقات القراء (٢ : ١٦) روضات الجنان (٥٢٦) تذكرة الحفاظ (٢ : ٥)

شعر كل قبيلة أو شاعر فى كتاب . ولكنها ضاعت كلها، ولم يذكر صاحب الفهرست منها شيئا[1] .

(٢) المفضل بن محمد الضـبى (١٦٨هـ) — وفد على المهدى فقربه، وجمـع له الأشعار المختارة التى سماها : المفضليات .

وله غير « المفضليات » كتاب الأمثال[2] .

(٣) أبا عمرو الشـيبانى إسحاق بن مرار (٢٠٦ هـ) — وقد جمـع أشعار نيف وثمـانين قبيلة .

وله مؤلفات فى : الخيـل ، والحديث ، والنوادر ، وخلق الإنسان ، والحروف . ذكرها صاحب الفهرست . ولم يصلنا منها إلا كتاب الجيم ، فى اللغة[3] .

(٤) محمد بن سلام الجمحى (٢٣٢ هـ) — صاحب كتاب طبقات الشعراء الجاهليين والإسـلاميين[4] .

* * *

وكما ظفرت «بغداد» بالشعراء ورُواة الأشعار ظفرت أيضا بطائفة من علماء النحو أثاروا فيها الرأى ، و رسموا للنحو رسومه ، و بينوا مناهجه ، منهم :

(١) الأغانى (٥ : ١٦٤) وفيات الأعيان (١ : ١٦٤) .

(٢) تاريخ بغداد (١٣ : ١٢١) ميزان الاعتدال (٢ : ٤٩٨) طبقات القراء (٢ : ٣٠٧) الأنساب للسمعانى (٣٦١) .

(٣) تاريخ بغـداد (٦ : ٣٢٩) ابن خلكان (١ : ٦٥) معجم الأدباء (٢ : ٢٣٣) إنباه الرواة (١ : ٢٢١) روضات الجنان (١٠٠) .

(٤) تاريخ بغداد (٥ : ٢٢٧) طبقات الزبيدى (١٢٧) اللباب (٣٢٦) مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى (٢٠٨) إنباه الرواة (٧ : ١٤٣) طبقات ابن قاضى شهبة (١ : ٥٧) معجم الأدباء (٨ : ٢٠٤) .

(١) سيبويه عمرو بن عثمان (١٨٣ هـ) — نشأ بالبصرة، ورحل إلى بغـداد، واتصل بالرشيد ونال جوائزه .

والناس يعدون « كتاب سيبويه » من الأصول فى النحو[١] .

(٢) الكسائى علىّ بن حمزة (١٨٩ هـ) — استقدمه الخلفاء العباسيون إلى بغداد ليعلم أبناءهم . وقدمه البرامكة ورفعوا شأنه .

وقد ألف الكسائى كتبا عدة فى : النحو، والقراءات، والنوادر. لم يصلنا منها إلا رسالة له فى لحن العامة[٢] .

(٣) الفرّاء أبو زكريا يحيى بن زياد (٢٠٧ هـ) — حظى عند « المأمون » وعهد إليه بتعليم آبنيه النحو .

وله مؤلفات عدة فى النحو واللغة، ولم يصلنا منها إلا :

(أ) كتاب معانى القرآن .

(ب) « المذكر والمؤنث[٣] .

(٤) ابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (٢٤٤ هـ) — وكان يؤدّب ولد جعفر المتوكل .

وقد خلف بضعة وعشرين مؤلفا فى : النحو، واللغة، والمنطق. ذكرها صاحب الفهرست ، لا نعرف منها إلا :

---

(١) ابن خلكان (٢ : ٩٩) أخبار النحويين (٤٨) إنباه الرواة (٢ : ٣٤٦) طبقات الزبيـدى (٣٨) طبقات القراء (١ : ٦٠٢) طبقات ابن قاضى شهبة (٢ : ٢٠٦) .

(٢) تاريخ بغـداد (١١ : ٤٠٣) إنباه الرواة (٢ : ٢٥٦) مرآة الجنان (١ : ٤٢١) طبقات الزبيدى (٨٨) بغية الوعاة (٣٣٦) .

(٣) وفيات الأعيان (٢ : ٢٢٨) شذرات الذهب (٢ : ١١٥) الفهرست (٦٦) .

(ا) كتاب إصلاح المنطق .
(ب) « تهذيب الألفاظ[1] .

* * *

وإلى جانب الشعراء، ورُواة الشعر، وعلماء النحو، كان فى « بغداد » صفوة من رجال اللغة نهضوا بعبء المعاجم فى أوّل عهدها، منهم :

(١) الخليل بن أحمد (١٨٠ هـ) — نشأ فى البصرة غير بعيد عن بغداد . وهو أوّل من ضبط اللغة وأخرج علم العروض إلى الوجود، ومن كتبه :

(ا) كتاب العين — معجم مرتب على مخارج الحروف .
(ب) « فى معنى الحروف .

وقد ذكر له ابن النديم من المؤلفات : كتاب النغم، وكتاب العروض، وكتاب الشواهد، وكتاب النقط والشكل، وكتاب الإيقاع . غير أن هذا كله قد ضاع[2] .

(٢) مؤرج بن عمـر السّدوسى (١٩٥ هـ) — صحب المأمون .

وله من المؤلفـات : كتاب الأنواء ، وكتاب غريب القرآن ، وكتاب جماهير القبائل، وكتاب المعـانى . وكتب أخرى غيرها، لم يصلنا منها شىء[3] .

---

(١) وفيات الأعيان (٢ : ٣٠٩) الفهرست (٧٢) طبقات الزبيدى (٢٢١) .

(٢) أخبار النحويين (٣٨) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١٧٧) وفيات الأعيان (١ : ١٧٢) طبقات القراء (١ : ٢٧٥) اللباب (٢ : ٢٠١) معجم الأدباء (١١ : ٧٢) مراتب النحويين (٤٣) .

(٣) وفيات الأعيان (٢ : ١٣) تاريخ بغداد (١٣ : ٥٨) طبقات ابن قاضى شهبة (٢ : ٢٦١) معجم الأدباء (١٩ : ١٩٦) إنباه الرواة (٣ : ٣٢٧) وقد ذكره المؤلف فى هذا الكتاب .

(٣) النضر بن شميل (٢٠٣ هـ) — وقد اتصل بالمأمون .

وله كتب عدة ذكرها ابن النديم . ولم يصلنا منها إلا كتاب : غريب الحديث (١) .

(٤) قطرب أبو على محمد بن المستنير (٢٠٦ هـ) — نشأ بالبصرة، ولم تنقطع صلته ببغداد . وله مؤلفات منها :

(ا) كتاب الأضداد .

(ب) ما خالف فيه الإنسان البهيمة .

(ج) الأزمنـــة .

(د) مثلث قطرب (٢) .

(٥) ابن الأعرابى أبو عبد الله محمود بن زياد (٢٣١ هـ) .

له من الكتب الباقية إلى اليوم :

(ا) كتاب أسماء البقر وصفاتها .

(ب) كتاب أسماء الخيل وأنسابها (٣) .

* * *

وتنشط الكتابة بنشاط الحياة فى بغداد، ويتجمع لها كتّاب منشئون، منهـــم :

---

(١) وفيات الأعيان (٢ : ١٦١) فهرست ابن النـديم (٥٢) مراتب النحويين (١٠٣) طبقات القراء (١ : ١٤١) .

(٢) أخبار النحويين (١٩) مراتب النحويين (١٠٨) تاريخ بغداد (٣ : ٣٩٨) إنباه الرواة (٣ : ٢١٩) معجم الأدباء (١٩ : ٥٢) روضات الجنان (٥٨٥) .

(٣) تاريخ بغداد (٥ : ٢٨٢) إنباه الرواة (٣ : ١٢٨) ابن خلكان (١ : ٤٩٢) معجم الأدباء (١٨ : ١٨٩) مراتب النحويين (١٤٩) .

(١) طاهر بن الحسين (٢١٧ هـ) — وكان متصلا بالمـأمون[١] .

(٢) أحمد بن يوسف (٢١٣ هـ) — كاتب المـأمون .

(٣) عمرو بن مسعدة (٢١٧ هـ) — وكان مختصا بالبرامكة[٢] .

(٤) حميد بن مهران — كاتب البرامكة .

***

وإلى جانب الكتّاب المُنشئين كان هناك كتّاب مؤلفون، نذكر منهم :

(١) عبد الله بن المقفع (١٤٣ هـ) — وكان مختصا بالمنصور .

وله من الكتب : كتاب كليلة ودمنة — الأدب الصغير — الدرّة اليتيمة (الأدب الكبير) — رسالة فى الأخلاق .

وله كتب أخرى نقلها عن الفارسـية ، منها : كتاب التاج فى سـيرة أنوشروان — كتاب سيرة ملوك العجم — وقد نقل عنه ابن قتيبة فى كتابه : عيون الأخبار[٣] .

(٢) سهل بن هارون (١٧٣ هـ) — أقام فى «بغداد» يخدم المأمون . وقد تولى له رياسة خزانة بيت الحكمة .

وله من الكتب : ديوان الرسائل — والإخوان — والمسـائل — وغيرها[٤] .

---

(١) وفيات الأعيان (١ : ٢٣٥) .

(٢) وفيات الأعيان (١ : ٣٩٠) .

(٣) وفيات الأعيان (١ : ١٤٩) تراجم الحكماء للقفطى (١٤٨) الفهرست (١١٨) الوزراء والكتّاب للجهشيارى (١٠٣) .

(٤) البيان والتبيين (١ : ٣٠) الفهرست (١٢٠) الدميرى (١ : ٣١٣) .

(٣) على بن عبيد الريحانى — وكان مختصا بالمـأمون .

وقد ذكر له ابن النديم نحوا من خمسين مؤلفا ، ضاعت كلها[١] .

* * *

ولم تنس «بغداد» نصيبها من الموسيقى والغناء . فلقد شاركت فيها مشاركة جدّية على نحو مشاركتها فى العلوم ، وآنبرى لهذه نفر من رجالها يضعون فيها المؤلفات ، منهم :

(١) يحيى بن أبى منصور ، وقد ألف كتابا فى الأغانى على الحروف ، وآخر فى العود والملاهى ، إلا أنهما ضاعا فيما ضاع[٢] .

(٢) إسحاق بن إبراهيم الموصلى (٢٣٥ هـ) — وقد نادم الرشيد والمـأمون والواثق . ومن مصنفاته : كتاب فى الأغانى — أخبار عزة الميلاء — أغانى معبد — الاختيار من الأغانى — الرقص والزفن — النغم والإيقاع — قِيان الحجاز ، وغـيرها[٣] .

(٣) إبراهيم بن المهدى (٢٢٤ هـ) — وكان قد طمع فى الخلافة ، فلما استتب الأمر لأخيه المـأمون آنصرف هو إلى الغناء[٤] .

* * *

وفى ظل الخلافة البغدادية الأولى ضُبط الفقه ودوّنت أحكامه ، نذكر من أئمته :

(١) الفهرست (١١٩) .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية (٢ : ١٥٨)

(٣) الفهرست لابن النديم (١ : ١٤٠)

(٤) وانظر تاريخ الغناء فى الجاهليـة والإسلام (٣ : ١٩٧ ، ٥ : ٣٢) من تاريخ التمدن الإسلامى .

(١) أبا حنيفة النعمان (١٥٠هـ) — نشأ بالكوفة، واتصل بأبى جعفر المنصور .
ومن مؤلفاته الباقية : الفقه الأكبر — مسند أبى حنيفة — المخارج فى الحيل[1] .

(٢) أبا يوسف يعقوب بن إبراهيم (١٨٢ هـ) — تولى قضاء « بغداد » للمهدى والرشيد . ومن مؤلفاته الباقية : كتاب الخراج[2] .

(٣) محمد بن الحسن الشيبانى (١٨٩ هـ) — نشأ بالكوفة، واتصل بالرشيد، وألف كتبا كثيرة فى الفقه وغيره ، منها :
كتاب المبسوط — كتاب الزيادات — الجامع الكبير — الجامع الصغير[3] .

(٤) أحمد بن حنبل (٢٤١ هـ) — ولد فى بغداد وبها نشأ . ومن مؤلفاته : المسند فى الحديث — السنة موصل المعتقد إلى الجنة — كتاب الزهد[4] .

* * *

واشتغل بالحديث فى هذا العصر جماعة كبيرة ، منهم ببغداد :

(١) ابن جريج (١٤٩ هـ) .

(٢) الواقدى (٢٠٧ هـ) .

كما كان منهم نفر قريبون من بغداد ، منهم :

(١) سفيان الثورى (١٦١ هـ) .

(٢) زياد البكائى (١٨٣ هـ) .

---

(١) تاريخ بغداد (١٣ : ٣٤٣) وفيات الأعيان (٢ : ١٦٣) الفهرست (٢٠١) .
(٢) الفهرست (٢٤٩) وفيات الأعيان (٢ : ٣٠٣) .
(٣) وفيات الأعيان (١ : ٤٥٣) وقد ترجم له المؤلف فى هذا الكتاب .
(٤) تاريخ بغداد (٤ : ٤١٢) الفهرست (٢١٩) .

(٣) ابن عياش (١٩٣ هـ) .

(٤) عبد الله بن مسلمة (٢٢١ هـ) .

* * *

وفى ظل الخلافة البغدادية الأولى بدأ التاريخ يأخذ مظهره الحق ، ويفرغ له نفر من المؤرخين ، منهم :

(١) محمد بن إسحاق (١٥١ هـ) — اتصل بالمنصور . ومات ببغداد . وكان عالما بالمغازى والسير .

وله : كتاب السيرة[1] .

(٢) هشام بن محمد بن السائب الكلبى (٢٠٦ هـ) — نشأ بالكوفة ، وكان موصولا بالحياة فى بغداد .

وقد عدّوا له نيفا ومائة وخمسين كتابا ، منها :

جمهرة الأنساب — الأصنام — بيوتات قريش — الكنى — بيوتات اليمن — تاريخ أجناد الخلفاء — تسمية من بالحجاز من أجناد العرب[2] .

(٣) الواقدى محمد بن عمر (٢١٧ هـ) — قرّبه المأمون وولاه القضاء بشرقى بغداد .

وقد ذكر ابن النديم له نحوا من ثمانية وعشرين كتابا ، بين أيدينا منها :

(ا) كتاب المغازى .

(ب) كتاب فتوح الشام .

(ج) فتح إفريقيا .

---

(١) ابن خلكان (٦ : ٤٨٣) .

(٢) وفيات الأعيان (٢ : ١٩٥) الفهرست (٩٥) معجم الأدباء (١٩ / ٢٨٧) .

(د) كتاب فتح مصر والإسكندرية[1] .

(٤) ابن سعد محمد (٢٣٠ هـ) — ولد فى البصرة، وسكن بغداد ومات بها . وله : كتاب الطبقات الكبرى[2] .

* * *

هـذا إجمال للبيئة التى تلقت صاحب كتابنا « المعارف » أبا محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبـة (٢١٣ هـ — ٢٧٦ هـ) تصف شيئا يسبق مولده ، وشيئا يصاحبه فى صباه حتى شب .

وهو حين جاوز مرتبة التحصيل ، وأصبح بعدُ من الشيوخ، كان إلى جواره فى « بغداد » ، وقريبا من « بغداد » ، أمثال هؤلاء الذين مرّ بك حديثهم، فلقد عاصر من الشعراء :

(١) دعبلا الخزاعى (٢٤٦ هـ) — نشأ بالكوفة، ودخل إلى بغداد أيام الرشيد[3] .

(٢) الحسين بن الضحاك (٢٥٠ هـ) — اتصل بالأمين ثم المأمون[4] .

(٣) ابن الرومى أبا الحسن على بن العبـاس (٢٨٣ هـ) — وكان من موالى العباس . ولد فى بغداد وبها توفى .

(٤) البحترى أبا عباد ، الوليـد بن عبيد (٢٨٤ هـ) . وقد أقام ببغـداد دهرا طويلا .

(٥) ابن المعتز أبا العباس عبد الله .

(٦) فضل، جارية المتوكل العباسى .

(١) وفيات الأعيان (١ : ٥٠٧) الفهرست (٩٨) وقد ترجم له المؤلف فى هذا الكتاب .

(٢) وفيات الأعيان (١ : ٥٠٧) الفهرست (٩٩) . (٣) تاريخ بغداد (٨ : ٣٨٢) ابن قتيبة (٥٣٩) ابن المعتز (٢٦٤) الأغانى (١٨ : ٢٩) ابن خلكان (١ : ١٧٨) .

(٤) تاريخ بغداد (٨ : ٥٤) ابن المعتز (٢٦٤) الأغانى (٦ : ١٧) ابن خلكان (١ : ١٥٤) .

* * *

كما عاصر من الكتاب .

الجاحظ أبا عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥ هـ) .

ومن مؤلفاته : الحيوان ــ المحاسن والأضداد ــ الرسائل ــ البيان والتبيين ــ البخلاء .

ومن الرواة الأدباء :

السكرى أبا سعيد الحسن بن الحسين (٢٧٥ هـ) . الذى جمع ما بين أيدينا من أشعار الجاهليين وصدر الإسلام إلى أيامه .

ومن النحاة :

أبا العباس المـازنى (٢٤٩ هـ) ــ وأبا العباس ثعلب (٢٩١ هـ) .

ومن اللغويين :

المفضل بن سلمة الضبي (٢٥٠ هـ)ــ وأبا عمرو الهروى (٢٥٥ هـ)ــ وأبا حاتم السجستانى (٢٥٥ هـ) ــ وأبا العباس المبرد (٢٨٥ هـ) .

ومن المؤرخين :

محمد بن حبيب مولى بنى العباس (٢٤٥هـ) ــ والزبير بن بكار (٢٥٦ هـ)ــ الذى وفد على «بغداد» مرات، آخرها سنة ٢٥٣ هـ ــ وعمر بن شبة (٢٦٢ هـ)ــ واليعقوبى أحمد بن أبى يعقوب (٢٧٨هـ) ــ والبلاذرى أبا جعفر أحمد بن يحيى (٢٧٩ هـ) .

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية .

وابن طيفور أحمد بن طاهر (٢٨٠هـ) — وأبا حنيفة الدينورى (٢٨٢هـ).

ومن الجغرافيين :

ٱبن خرداذبه عبيد الله بن أحمـد (٢٨٠ هـ) — وٱبن الفقيـه أحمد بن محمد (٢٨٠هـ) .

ومن علمـاء الكلام :

أبا الهذيل محمد بن الهذيل العلاف (٢٣٢ هـ) .

ومن علمـاء الحديث :

البخارى محمد بن إسماعيل (٢٥٦ هـ) — وابن ماجة محمد بن يزيد (٢٧٣ هـ) — وأبا داود السجستانى (٢٧٥ هـ) .

ومن الفلاسفة والمنطقيين :

ابن ما سويه يوحنا (٢٥٣ هـ) .

* * *

وهناك غير هؤلاء ممن عاصرهم المؤلف ، ولكنها كانت معاصرة قصيرة الأمد، أدرك هو منها قليلا، وٱمتدّت بهم السن كثيرا، منهم :

الرازى (٣٢٠ هـ) — والطـبرى (٣١٠ هـ) وابن دريد (٣٢١ هـ) — والزجاج (٣١١) .

ولكنهم كانوا ممن عمروا تلك البيئـة وأيقظوها ، ووقع المؤلف على مالهم ، وإن لم يدركه كله .

* * *

اجمال عن الحياة العلمية :

لقد رأيت كيف حفلت هذه الفترة الصغيرة، التى لا تزيد عن قرن إلا بقليل، بتلك الكثرة من العلماء على مختلف ألوانهم .

يعزو الدارسون ذلك إلى أن من ولى خلافة «بغداد» فى تلك الفترة كانوا من الخلفاء العلماء، فرغبوا فى العلم وأحسنوا وفادة أهله وشجعوهم عليه، فانتعشت بغداد بمن فيها وبمن وفد إليها، وأصبحت ميدانا لحركة علمية فكرية واسعة .

ويكتب لهذه الحركة أن تبلغ أوجها على يدى المأمون، ويكون المأمون نفسه على رأس تلك الحركة عالمًا يشارك العلماء الرأى ، ويأخذ معهم فى الحديث .

ويسود العصر لون من التسامح الفكرى يشجِّع العلمـاء والمفكرون فى ظله على القول، فكان لذلك أثره الكبير فى ظهور الفرق الكلامية، واحتدام الجدل بينها .

ولقد كان أكثر الخلفاء تسامحا المأمون (١) . فظهر فى هذا العصر نفر من جلة العلماء ورؤوس المتكلمين أوغلوا فى البحث معتمدين على العقـل ، مخالفين بمـا يقولون ما عليه علماء المسلمين .

ونشأ هــذا الخلاف أول ما نشأ فى البصرة ، ثم عداها إلى بغداد ؛ حمل لواءه واصل بن عطاء، ثم عمرو بن عبيد — الذى قرّبه المنصور إليه — ثم أبو الهذيل العلاف ، والنظام ، والمريسى بشر بن غياث ، والجاحظ ، وثمـامة بن أشرس، من شيوخ الاعتزال .

(١) تاريخ بغداد لابن طيفور (٧٦)

ومضى الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة يتسع ، حتى تُوج أخيرا بتلك المشكلة التى مال فيها المأمون إلى رأى المعتزلة — وهى مشكلة خلق القرآن — تلك المشكلة التى شغلت المأمون أكثر ممـا شغلت المتكلمين ، وعنّى بهـا المأمون نفسه كما عنّى بها المسلمين ، ووقف يناصب العداء كل من خالفه ، ويسومه سوء العذاب (١) .

ومن بعـد « المأمون » يجىء « المعتصم » ، فيتورّط فيما تورط فيـه أخوه « المأمون » ، ويجىء « الـواثق » فيمضى فيما مضى فيـه أبوه « المعتصم » وعمه « المأمون » .

واستمرت هـذه المحنة حتى ملها الواثق ، ودّ لو وجد لنفسه منهـا مخرجا ، حتى إذا ما جاء المتوكل (٢٤٧ هـ) أمر بأن يخلّى بين الناس وبين ما يرون .

***

وإلى جانب هاتين المدرستين الكلاميتين — مدرسة المعتزلة ومدرسة أهل السنة اللتين قسمتا الناس فئتين — كانت تقـوم مدرستان أخريان ، لا فى علم الكلام ، ولكن فى شىء آخر أهون ، لا يثير خلافا ، لا يجر أذًى فى الأنفس ولا ضررا للأبدان ، هما مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ، اللتان اشتغلتا بالنحو .

وكان لكل مدرسة من هاتين المدرستين رأيهـا فى النحو ، ولكل رأى أتباعه وأشياعه .

وكانت مدرســة البصرة هى المدرســة الأولى ، وعلى رأسها : أبو الأســود ، وابن أبى إسحاق الحضرمى ، وعيسى بن عمر الثقفى ، وهارون بن موسى .

(١) تاريخ الأمم الإسلامية (٢١٠ — ٢١٥) .

ثم جاء الكوفيون من بعــدهم فقلدوهم فى شىء وخالفـوهم فى شىء ، وقامت المناظرة بين البلدين ، وصار لكل منهما مذهب .

وعلى الرغم من تقدم مدرسة البصرة وسبقها ، فقد ظهرت عليها مدرسة الكوفة ، وذلك لمناصرة خلفاء بغداد لهم ، وتفضيل أساتذة هذه المدرسة الكوفية على أساتذة تلك المدرسة البصرية ، فلقد اختار هؤلاء الخلفاء لأولادهم : الكسائى ، والفراء ، والمفضل الضبى ، والشرقى بن القطامى ، وكلهم من المدرسة الكوفية .

ولقــد رأينا المأمون يتحامل على سيبويه فى المناظرة التى عقدها بينــه وبين الكسائى[1] .

* * *

هذا إلى أنه لمــا عمرت «بغداد» توافد الناس إليها من كل حَدَب وصَوْب ، فريق يطلب الكسب ، وفريق تستهويه الحيــاة العلمية والفكرية ، وفريق يطلب حياة الترف ، فإذا « بغــداد » معترك يَشارك فيــه إلى جانب العربى : الفارسى ، والرومى ، والنَّبطى ، والتركى ، والصينى ، والهنــدى ، والبربرى ، والزنجى . وفيهم : المسلم ، والنصرانى ، واليهودى ، والصابئى ، والسامرى ، والمجوسى ، والبوذى ، وغـــيرهم .

وهؤلاء لاشك قــد حملوا إلى « بغــداد » ألوانا من الفكر والثقافــة ، سرعان ما انتفعت بها « بغــداد » وأثرت فيها .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية (١٣٠) ضحى الإسلام (٢ : ٢٥) الإنصاف فى مسائل الخلاف .

*
* *

وصحبت هـذا رغبة الخلفاء فى نقل العـلوم والفنون إلى اللغـة العربية، فبدأ « المنصور » يعتنى بنقل كتب النجوم والطب، ويجىء « الرشيد » فينقل فى أيامه كتاب المجسطى . ثم يظل عصر « المأمون » فتتسع حركة النقل فى أيامه . وكان أكثر هؤلاء النقلة من السريان النساطرة، لأنهم كانوا أقدر على الترجمة من اليونانية، وكان أشهرهم : آل بختيشوع، وآل حنين، وقسطا بن لوقا، وغيرهم .

وكان أشهر النقلة من الفارسية إلى العربية : ابن المقفع، والفضل بن نوبخت، وموسى ويوسف : ابنا خالد، وكثير غيرهم (1) .

ومن الذين نقلوا عن اللغة السنسكريتية (الهندية) : منكة الهندى، وابن دهن .

ومن الذين نقلوا عن اللغة النبطية (الكلدانية) : ابن وحشية، نقل كتبا كثيرة، أهمها : كتاب الفلاحة النبطية .

ولقد بلغ عدد الكتب التى نقلت فى تلك الحقبة القصيرة بضع مئات .

*
* *

هذا هو العصر الذى أقبل عليه ابن قتيبة والذى شارك فيه : عصر نزاع دينى، وعصر نزاع نحوى ، وعصر علوم مختلفة وثقافات متعددة . وكان بعيدا أن يعيش رجل مثل « ابن قتيبة » بمعزل عن هذا وذاك، بل كان لا بدّ أن يتأثر به وينغمس فيه .

ولكنا قبل أن نصل الحديث بابن قتيبة نحب أن نمهد له بشىء عنه .

(1) تاريخ التمدن الإسلامى (٣ : ١٤٠) تاريخ آداب اللغة العربية (٢ : ٣٣ — ٣٤) .

(٢) حيـاة المـــؤلف

ابن قتيبة (١)

نســـبه :

هو أبو محمد عبد الله — على هذا المراجع كلها ، وتأبى دائرة المعارف الإسلامية إلا أن تسميه : أبا عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبة المروزى .

(١) مراتب النحويين لأبى الطيب (٣٥٢ هـ) [ص ١٣٧] — التهذيب للأزهرى (٣٧٠ هـ) [مقدمة ١٢ ، ١٦] — طبقات النحويين للزبيـدى (٣٧٩ هـ) [ص ١٢٩] — الفهرست لابن النـديم (٣٨٥ هـ) [ص ٧٧] — تاريخ بغـداد للخطيب البغدادى (٤٦٣ هـ) [١٠ : ١٧٠] — الأنساب للسمعانى (٥٦٢ هـ) [ص ٤٤٣] — نزهة الألبا لابن الأنبـارى (٥٧٧ هـ) [ص ٢٧٢ — ٢٧٤] — المنتظم لابن الجوزى (٥٩٧ هـ) [ص ١٠٢] — اللباب لابن الأثير (٦٠٦ هـ) [٢ : ٢٤٢] — وفيـات الأعيان لابن خلكان (٦٨١ هـ) [٢ : ٢٤٦] — إنباه الرواة للقفطى (٦٤٦ هـ) [٢ : ١٤٣] — تهذيب الأسماء واللغـات للنووى (٦٧٦ هـ) — تذكرة الحفـاظ للذهبى (٧٤٨ هـ) [٢ : ١٨٧] — ميزان الاعتـدال للذهبى (٢ : ٣٣) — مرآة الجنان لليافعى (٧٦٨ هـ) [٢ : ١٩١] البداية والنهاية لابن كثير (٧٧٤ هـ) [١١ : ٤٨] — الجواهر المضيئة للقـرشى (٧٧٥) — تاج التراجم فى طبقات الحنفيـة لابن قطلوبغا (٧٨٩) لسان الميزان لابن حجر (٨٥٢ هـ) [٣ : ٣٥٨] — النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى (٨٧٤ هـ) (٣ : ٧٥) بغية الوعاة للسيوطى (٩١١ هـ) [ص ٢٩١] — طبقات المفسرين للداودى (٩٥٠) — قلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر لمحمد الطيب (٩٥٢) — شذرات الذهب لابن العماد (١٠٣٢ هـ) [٢ : ١٦٩] .

وانظـــر :

(١) ابن قتيبة — نوابغ الفكر العربى (١٨) .

(٢) تعريف بابن قتيبة — عيون الأخبار (٤ : مقدمة) . (٣) تعريف بابن قتيبة — كتاب الأشربة — مقـدمة . (٤) تعريف بابن قتيبة — كتاب الميسر والقداح — مقدمة .

(٥) تعريف بابن قتيبة — تأويل مشكل القرآن — مقدمة . (٦) تاريخ آداب اللغـة العربية (٢ : ١٩٧) . (٧) دائرة المعارف الإسلامية : ابن قتيبة .

(8) The life and works of IBN QUTAYBA by ISHAQ MUSA - HUSEINI

أما أبوه « مسـلم » فقد عرّفنا به أبو عبـد الله ، وأنه كان من أهل العـلم والحديث ، و إن لم يبلغ فى ذلك مبلغ آبنـه ، أو مبلغ من يسـجل له آسم ، لهـذا لم نجد كتابا من كتب المراجع ذكر آسمه .

ولو أن رجلنـا «أبا محمد» سكت هو الآخر ولم يذكر آسمه، فى أكثر من موضع من هذا الكتاب « المعارف » ، وفى كتابه «عيون الأخبار» حيث يقول : حدّثنى أبى[1]، لمـا عرفنا هذا القليل عنه .

و يزيد، «البغدادى» تعريفاً بأبيه «مسلم» فيقول : وقيل : إن أباه مروزى — يعنى أنه كان من أهل مرو .

وأما جده «قتيبة» فقد آختلفوا فى آشتقاق آسمه : فقالوا، هو تصغير «قتبة» بالكسر، واحدة الأقتاب، وهى الأمعاء، والنِّسبة إليه : قتبى .

وقال الزبيـدى : وفى التهذيب : ذهب الليث أن قتيبة مأخوذ من القتب ، ثم نقل عن الأمير المجاهد قتيبة بن مسلم — رحمه الله — أنه فسر آسمه بمعنى : إكاف .

ثم قال الزبيدى : وهذا يوافق ما قاله الليث .

مولده ووفاته :

ولا خلاف بين الذين ترجموا لأبى محمد فى السنة التى وُلد فيهـا — وهى سنة ٢١٣ هـ — و إن كان منهم نفر قد سكتوا عنها ، كالبغدادى ، لا يذكرون معها شهرا — كما يفعلون فى الكثير ، وكما فعلوا حين أرّخوا وفاته .

علة ذلك أنهم التقوا به حين ذاع آسمه ، فحرصوا على جمع مالَهُ ، ولم يلتفتوا إليه حين دخل عليهم الدنيا ، لأنه لم يكن مقدورا .

(١) المعارف ، عيون الأخبار (١ : ١٤٢ ، ٢ : ٣٠٧) .

ولكنا لاندرى : لمَ فات المؤرخين أن يأخذوا ذلك عن لسان « أبى محمد » حين فاتهم أن يأخذوه عن لسان غيره، ولقد كان بينهم ملءَ العين والسمع .

والمؤرخون حين لا يذكرون الشهر الذى ولد فيه ، ويسكتون عنه ، يختلفون على أنفسهم حين يذكرون البلد الذى وُلد فيه .

فيذهبُ ابن النديم، وابن الأثير، وابن الأنبارى : إلى أنه ولد فى الكوفة . لاندرى هل تابع ابنُ الأنبارى (٥٧٧ هـ) ابنَ النديم (٣٢٨ هـ) فيها ، حين سبقه بها ، ثم قفّى على أثرهما ابن الأثير (٦٠٦ هـ)، أو انفرد كل بطريقه ؟ .

وهناك غير هؤلاء من المؤرخين الذين ذكرناهم من يذكرون أن مولده كان ببغداد، وأسبقهم بهذه الرواية البغدادى (٤٦٢هـ) ثم السمعانى (٥٦٢هـ)، ومن بعدهما القفطى (٦٠٦ هـ) لا يناقشون رواية غيرهم ممن سبقوهم ، بل لا تحس أنهم كانوا على علم بها، وأنهم كان لهم طريقهم الخاص .

وجلىّ أن هذه الإقامة فى «بغداد» قد تكون هى التى أوحت إلى من قالوا بأن مولده بها أن يقولوه، وجلىّ أن من قالوا بأن مولده الكوفة ، وهم يعلمون إقامتـه ببغداد، كانوا بمعزل عن هذا الإيحاء، وملكوا شيئا خرجوا به عما يكاد يكون متفقا عليـه ، يساندهم على ذلك أن أباه ليس بغـداديا ، وأن الأسرة كانت غريبة على بغداد .

وكما كان الاختلاف فى البلد الذى ولد فيه ابن قتيبة، كان الاختلاف فى السنة التى مات فيها .

يروى ابن الأنبارى (٣٢٨هـ) عن ابن المنادى، عن أبى القاسم إبراهيم بن محمد ابن أيوب بن بشير الصائغ : أن ابن قتيبة أكل هريسة، فأصاب حرارة ، فصاح

صيحة شديدة ، ثم أغمى عليه إلى وقت صلاة الظهر ، ثم اضطرب ساعة ثم هدأ . فما زال يتشهد إلى وقت السحر ثم مات . وذلك أول ليلة من رجب سنة ست وسبعين ومائتين .

ويتابع ابنَ الأنبارى على هذا جملةٌ من المؤرخين .

ويروى الخطيب البغدادى (٤٦٣ هـ) يقول : قرأت على الحسن بن أبى بكر ، عن أحمد بن كامل القاضى ، قال :

ومات عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى فى ذى القعدة سنة سبعين ومائتين .

والخطيب البغدادى الذى ذكر هذا الخبر بسنده، يذكر بعده الخبر الأول الذى ساقه ابن الأنبارى بسنده ، ولكنه لا يرجح خبراً على خبر .

ويجىء ابن خلكان (٦٨١ هـ) فيزيد على هاتين الروايتين رواية فيقول : توفى فى ذى القعدة سنة سبعين ، وقيل : سنة إحدى وسبعين . وقيل: أول ليلة من رجب سنة ست وسبعين ومائتين . ثم يزيد حاكما : والأخيرة أصح الأقوال .

ولكنا نملك دليلا يزكى ابن خلكان فى ترجيحه :

وهو أن قاسم بن أصبغ الأندلسى (٢٤٧ — ٣٤٠ هـ) وهو ممن أخذ عن ابن قتيبة ببغداد ، كانت رحلته إلى المشرق سنة ٢٧٤ هـ .

ولكن مؤرخا متأخرا ، وهو : الألوسى نعمان بن محمود بن عبد الله (١٣١٧ هـ) يقول فى كتابه : جلاء العينين فى محاكمة الأحمدين (ص ٢٣٦) : « وقال أبو محمد عبد الله بن قتيبة المتوفى سنة ٢٦١ هـ » .

ولا ندرى دليل الألوسى على ما قال ، وأغلب الظن أنها زلة طباعة .

نسبته الى الدينور :

والدينور — كما تعلم — مدينة من أعمال الجبل ، قرب قرميسين ، و بينها وبين همذان نيف وعشرون فرسخا . وكان أبو محمد خرج إليها ليَـلِي فيها القضاء ، وأقام بها مدة فنُسب إليها ، ولكن لمن ولى أبو محمد القضاء ؟

نعرف أن أبا محمد كان موصولا بالوزير : أبي الحسن عبيد الله بن يحيي بن خاقان (٢٦٣ هـ) ، وأنه صنف له كتابه « أدب الكاتب » ، وذكر هذا الوزير فى الخطبه وأثنى عليه، إذ يقول : « فالحمد لله الذى أعان الوزير أبا الحسن أيده الله » .

و يقول أبو القاسم الزجاجى ، وهو يشرح خطبة « أدب الكاتب » : « يعنى : الخاقانى ، وهو عبيد الله بن يحيي الخاقانى ، لأنه عمل له هذا الكتاب فأحسن صلته واصطنعه وصرفه » .

ويقول ابن السـيد البطليوسى فى « الاقتضاب » : « يعنى عبيد الله بن يحيي ابن خاقان . وكان وزير المتوكل ، حتى صرفه فى بعض أعماله » .

وقول « ابن السـيد » يدلنا على أن اصطناع الخاقانى لابن قتيبـة كان وهو وزير المتوكل إلى سنة (٢٣٧ هـ) ، ولم يكن وهو وزير المعتمد ، من سنة (٢٥٦ هـ) إلى سنة (٢٧٩ هـ) .

ولم يكن هذا الاصطناع الذى حباه به الخاقانى إلا ولاية قضاء الدينور .

وقد بو يع المتوكل بالخلافة سنة (٢٣٢ هـ) ، وكان مقتله سنة (٢٤٧ هـ) .

وبين هاتين السنتين كانت ولاية « ابن قتيبة » لقضاء الدينور .

لا نعـرف فى أية سـنة بدأت ، ولكنا نميـل إلى أنها بقيت ببقاء الخـاقانى فى الوزارة ، أى إلى سنة (٢٤٧ هـ) .

وبعدها عاد «ابن قتيبة» إلى بغداد كما كان . وبهذه الإقامة فى «الدينور» نسب ابن قتيبة إليها فقيل : الدِّينورى .

نشأته وشيوخه :

وفى «بغداد» نشأ، يستوى فى ذلك أن يكون مولده بها أو بالكوفة، فإن كانت الأولى فليس ما يدفعها، وإن كانت الثانية فما نظنه أبعد عن بغداد كثيرا، وأنه لا شك كان بها وهو فى سن التلق . فسيمر بك أنه حدث عن «اللحيانى» وهو فى الثامنة عشرة من عمره. يدلك على ذلك قول البغدادى: «وسكن بغداد وحدث بها عن ...». ثم ذكر شيوخه. ولم يذكر له شيوخا ربط الحديث عنهم بغير بغداد .

وشيوخ ابن قتيبة الذين نريد أن نعرفك بهم ، والذين ورد ذكرهم فى المراجع المختلفة ، هم :

(١) والده : مسلم بن قتيبة ، كما قدمنا ، يحدث عنه مرات فى كتابيه: عيون الأخبار[(1)]، والمعارف .

(٢) أحمد بن سعيد اللحيانى ، صاحب أبى عبيد القاسم بن سلام . قرأ عليه : كتاب الأموال ، وكتاب غريب الحديث لأبى عبيد فى سنة (٢٣١ هـ) . ومعنى هذا أن عُمر «ابن قتيبة» كان عندها ثمانية عشر عاما .

(٣) أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحى (٢٣١ هـ) صاحب طبقات الشعراء .

(٤) ابن راهويه أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم (٢٣٨ هـ) وهو من أئمة الفقه والحديث . صحب الشافعى وناظره ، وروى عنه : البخارى ، ومسلم ،

---

(١) عيون الأخبار (١ : ١٤٢ ، ٢٦٤ ، ٢ : ٣١٧) .

وأبو داود ، والـترمذى ، والنسائى . وفيـه يقول أحمد بن خليـل : « لا أعرف لإسحاق نظيرا » .

(٥) حرملة بن يحي التجيبى (٢٤٣ هـ) صاحب الشافعى .

(٦) يحي بن أكثم القاضى (٢٤٢ هـ) . ويقال : إن ابن قتيبة أخذ عنه بمكة . ولعل ذلك كان فى حَجة له .

(٧) المروزى أبو عبد الله الحسن بن الحسين بن حرب السلمى (٢٤٦ هـ) .

(٨) دعبل بن على الخزاعى، الشاعر (٢٤٦ هـ) .

(٩) أبو عبد الله محمد بن محمـد بن مرزوق بن بكير بن البهلول البـاهلى البصرى (٢٤٨ هـ) .

(١٠) الزيادى أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان (٢٤٩ هـ) تلميذ : سيبويه، والأصمعى، وأبى عبيدة .

(١١) أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى (٢٤٨ هـ — أو ٢٥٥ هـ) .

قال الأزهرى فى مقـدمة التهذيب (ص ١١) : وقد جالسه : شمـر، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة ، ووثقاه .

(١٢) محمد بن زياد بن عبيـد الله بن زياد بن الربيع الزيادى البصرى (٢٥٢ هـ)

(١٣) أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن محمد الصواف الباهلى البصرى (٢٥٣ هـ) .

(١٤) أبو عبد الله محمد بن يحي بن أبى حزم القطعى البصرى (٢٥٣ هـ) .

(١٥) أبو الخطاب زياد بن يحي بن زياد الحسانى البصرى (٢٥٤ هـ) .

(١٦) شبابة بن سوار (٢٥٤ هـ) .

(١٧) أبو عثمان الجاحظ (٢٥٤ هـ) . وفى ذلك يقول ابن قتيبة فى كتابه « عيون الأخبار » : « وفيما أجاز لنا عمرو بن بحر من كتبه . قال[1] ... » .

(١٨) أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد البصرى (٢٥٧ هـ) .

(١٩) أبو طالب زيد بن أخزم الطائى البصرى (٢٥٧ هـ) .

(٢٠) أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشى، تلميذ الأصمعى (٢٥٧ هـ) .

(٢١) أبو سهل الصفار عبدة بن عبد الله الخزاعى (٢٥٨ هـ) .

(٢٢) عبد الرحمن بن بشر بن الحكم بن حبيب بن مهران العبدى (٢٦٠ هـ) .

(٢٣) أبو بكر محمد بن خالد بن خداش بن عجلان المهلبى .

(٢٤) أبو سعيد أحمد بن خالد الضرير .

قال الأزهرى فى مقـدمة التهذيب (ص ١١) : « وقدم عليه ابن قتيبة فأخذ عنه » .

(٢٥) عبد الرحمن بن عبد الله بن قريب، ابن أخى الأصمعى .

(٢٦) محمد بن عبيد بن عبد الملك الأسدى، أبو عبد الله الهمدانى .

تلاميذه :

ومن جلسوا إلى ابن قتيبة يأخذون العلم عنه :

(١) ابنه أحمد . ويترجم له عياض فى كتابه « المدارك » فيقول : أبو جعفر ابن قتيبة ، هو أحمد بن عبد الله بن مسلم الدينورى البغدادى النشأة ، كان مالكى المذهب من أهل العلم والحفظ لكتب أبيه، وكان يحفظها كما يحفظ القرآن .

(١) عيون الأخبار (٣ : ١٩٩ ، ٢١٦ ، ٢٤٩)

ويرد فيها ابن حفظه النقطة والشكلة، وما معه نسخة . كان أبوه محمد حفّظه إياها في اللوح، وعدّتها أحد وعشرون مصنفا، وهي : كتاب المشكل، معاني القرآن، غريب الحديث، عيون الأخبار، مختلف الحديث، التفسير، الفقه، المعارف، أعلام النبوة، العرب والعجم، الأنواء، طبقات الشعراء، معاني الشعر، إصلاح الغلط، أدب الكاتب، الأبنية، النحو، المسائل، القراءات . سمع منـه خلق عظيم ... ولي قضاء مصر سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ... وتوفي في ربيع الأول سنة آثنتين وعشرين بمصر بعد صرفه . وكانت ولايته القضاء بمصر ثلاثة أشهر .

وقد قرأ على أبي جعفر أحمد أبو على القالي (٣٥٦ هـ) كتاب عيون الأخبار، وكتاب أدب الكاتب . كما قرأ عليه الآمدي أبو القاسم (٣٧٠ هـ) كتب أبيه كلها .

كما قرأ على أبي جعفر أحمـد أيضا : أبو الفتح محمـد بن جعفر المراغي، وأبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي، شارح خطبة أدب الكاتب .

ويذكر البغدادي في كتابه « تاريخ بغـداد »(1) آبنًا لأبي جعفر أحمد، آسمه : عبـد الواحد ، فيقول : يكنى عبـد الواحد : أبا أحمـد . ذكر أنه ولد ببغداد في سـنة سبعين ومائتين . وانتقل إلى مصر فسكنها وروى بها عن أبيه، عن جدّه، كتبه .

(٢) أحمـد بن مروان المـالكي (٢٩٨ هـ) . وممـا رواه عن ابن قتيبة : كتاب : تأويل مختلف الحديث . وقد انتهى إلينا بروايته .

(٣) أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان (٣٠٩ هـ) .

---

(١) تاريخ بغداد (١١ : ٨) .

(٤) أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن أيوب بن بشير الصائغ (٣١٣ هـ) . وقد روى عن ابن قتيبة كل مصنفاته .

(٥) أبو محمد عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عيسى السكرى (٣٢٣هـ) . وقد سمع عنه : غريب الحديث، وإصلاح الغلط سنة (٢٦٨ هـ) .

وقد انتهى إلينا بروايته عنه كتاب : المسائل والأجوبة، وإصلاح الغلط .

(٦) أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن عبد الله بن بكير التميمى (٣٣٤ هـ) .

(٧) الهيثم بن كليب الشاشى (٣٣٥هـ) وقد أخذ عنه الأدب خاصة .

(٨) قاسم بن أصبغ الأندلسى (٣٤٠هـ) الذى كانت رحلتـه إلى المشرق (سنة ٢٧٤ هـ) . وقد قرأ عليه : المعارف، وشرح غريب الحديث .

(٩) عبد الله بن جعفر بن درستويه الفسوى (٣٣٥ هـ) .وقد انتهى إلينا من روايته عنه : كتاب الأشربة .

(١٠) أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن جعفر بن محمد الأزدى (٣٤٨ هـ) .

(١٢) أبو بكر أحمد بن الحسين بن إبراهيم الدينورى . وقد قرأ عليه : تأويل مختلف الحديث .

(١٢) أبو عبد الله بن أبى الأسود (٣٤٣ هـ) .

(١٣) أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيبانى البغدادى (٢٩٨ هـ) .

* * *

* مؤلفاته :

وبعد الحديث عن شيوخ ابن قتيبة وعن تلاميذه — وهم كما رأيت كثرة هنا وهناك، مما يدلك على رغبة منه فى الأخذ عن غيره، ورغبة إليه فى الأخذ عنه —

ننتقل بك إلى الحديث عن مؤلفاته، وسوف نرجئ الحديث عن كتابه « المعارف » لنفرده وحده بكلمة خاصة، بعد الفراغ من الحديث عن « ابن قتيبة » .

(١) غريب القرآن :

هكذا ذكره ابن خلكان ، والخطيب ، والداودى ، والسيوطى، وابن كثير، وابن الأنبارى، والقفطى، وابن العماد الحنبلى، وحاجى خليفة .

ومنه نسخة فى الخزانة الظاهرية بدمشق . رقمها ٣٣ لغة .

غير أن المجلة السلفية[١] عرضت لوصف نسخة أخرى منه فى مكتبة المرحوم الشيخ عثمان القارئ بالطائف، وهى تحمل مع العنوان السالف زيادة، وهو فيها « كتاب غريب تفسير القرآن » . والعنوان الأول بنهج المؤلف فى وضع أسماء كتبه أوفق وأنسب .

فمن قبل « غريب القرآن » ألف كتابه « مشكل القرآن »[٢] والعنوانان يكاد أولهما يملى الآخر . هذا إلى أن ابن قتيبة يقول فى كتابه : مشكل القرآن (ص ٢٥) : وأفردت للغريب كتابا كى لا يطول هذا الكتاب — يعنى : مشكل القرآن .

فهو بهذه العبارة قد سمى كتابه بما لا يحتمل تلك الزيادة التى تحملها نسخة الطائف .

غير أن «ابن قتيبة» يعود فيقول فى مقدمته لكتابه «غريب القرآن» : «ثم نبتدئ فى تفسير غريب القرآن دون تأويل مشكله ، إذ كنا قد أفردنا للمشكل كتابا جامعا كافيا بحمد الله »[٢] .

(١) المجلد الثانى ص ٨

(٢) طبعة « دار إحياء الكتب العربية » بتحقيق الأستاذ سيد صقر .

(٣) طبعة « دار إحياء الكتب العربية » بتحقيق الأستاذ سيد صقر

ويقول ابن قتيبة فى كتابه «الأنواء» : وهذا قد بينت فساده فى كتابى المؤلف فى تأويل مشكل القرآن[1] » .

فيحمل هـذا بعض المتصلين بأعمال « ابن قتيبة » على أن يضيف إلى اسمى الكتابين هاتين الزيادتين . ومخطوطة « المشكل » تحمل فى صفحتها الأولى هـذه العبارة : «الجزء الاول من مشكل القرآن» وتحمل فى صفحتها الأخيرة هذه العبارة : « ثم كتاب مشكل القرآن » .

ولم يحمل كتاب «غريب القرآن» المطبوع صفحات مصدرة من مخطوطتيه ، تدلنا على ما دلتنا عليه الصفحات المخطوطة من كتاب « مشكل القرآن » .

(٢) مشكل القرآن :

وهـذا الكتاب كما قدمت لك ، طبعته كما طبعت ماقبـله دار إحياء الكتب العربية ، بتحقيق الأستاذ سيد صقر .

وقد جمع بين هذين الكتابين أبو عبـد الله محمد بن أحمـد بن مطرف الكنانى (٣٥٤ هـ) فى كتاب أسماه : « القرطين » ينقص منها ويزيد .

وغير هذا فلأبى القاسم العكبرى عبد الله بن محمد (٥١٦ هـ) كتاب حول كتاب «مشكل القرآن» «أسماه : الانتصار لحمزة فيما نسبه إليه ابن قتيبة فى مشكل القرآن» ذكره صاحب كشف الظنون .

واسم كتاب العكبرى — كما ترى — يوحى بأن ثم مآخذ يحصيها « العكبرى » على ابن قتيبة ، وأن هذه المآخذ تشين ابن قتيبة فى ادعائه على « حمزة » أشياء .

(١) ص ٩ من مخطوطة الخزانة الزكية .

(٣) معانى القرآن :

ذكره السيوطى فى : « البغية » والداودى فى « طبقات المفسرين » وعياض فى ترجمة آبنه « أحمد » . أعنى : أباجعفر أحمد بن عبد الله بن قتيبة ، وقال : قرأه عليه قاسم بن أصبغ (٣٥٠ هـ) .

وأكاد أشك أن هذا كتاب جديد، وأنه شيء آخر غير كتابيه السابقين — مشكل القرآن، وغريبه — ويكاد يكون هو «غريب القرآن» فالغريب كشف عن المعانى والمعانى إيضاح للغريب ، والغرض من الاسمين واحد . فبعيد أن يكون معهما كتابان .

(٤) القراءات :

ذكره ابن النديم فى «الفهرست» ، كما ذكره المؤلف فى كتابه «مشكل القرآن» (ص ٤٥) حيث يقول : «وستراه كله فى كتابنا المؤلف فى وجوه القراءات» .

ولا ندرى هل الكلمة الأولى المزيدة على لسان آبن قتيبة جزء من العنوان ، أم هى لون من ألوان التفسير لموضوع الكتاب ؟

(٥) إعراب القراءات :

هكذا سماه آبن خلكان ، والقفطى . ويذكره ابن النديم ، والسيوطى ، والداودى باسم «إعراب القرآن» . وتكاد نرجح ماذهب إليه ابن النديم ، والسيوطى ، والداودى . فلو أن «آبن قتيبة» أراد ما ذكره ابن خلكان ، والقفطى ، لاتسع له كتابه السابق « القراءات » أو « وجوه القراءات » .

(٦) الرد على القائل بخلق القرآن :

ذكره السيوطى فى «البغية» ، والداودى فى «طبقات المفسرين» .

(٧) آداب القراءة .

ذكره صاحب كشف الظنون ، ولا ندرى أين وقع عليه .

(٨) غريب الحديث :

ذكره ابن النـديم ، وابن خلكان ، والخطيب ، والداودى ، والسـيوطى ، وابن كثير ، وابن الأنبارى ، والقفطى ، وابن العماد .

ومن الكتاب قطعـة تنتظم الثلث الأول والثلث الأخير . تحتفظ بهـا الخزانة الظاهرية بدمشق[(١)] .

يقول صاحب كشف الظنون : « حذا فيه حذو أبى عبيد القاسم بن سلام ، فجاء كتاب ابن قتيبة مثـل كتابه أو أكبر . وقال فى مقدمته : أرجو ألا يكون بقى بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لأحد فيه مقال » .

(٩) إصلاح غلط أبى عبيدة :

ذكره بهذا الاسم : الداودى ، والسيوطى .

وذكره ابن النديم باسم : إصلاح غلط أبى عبيد فى غريب الحديث .

وذكره ابن خلكان ، والقفطى ، وصاحب طبقات فقهاء السادة الحنفيـة ، وابن العماد باسم : إصلاح الغلط .

وقد ذكر حاجى خليفه أن عليه شرحا لأبى المظفر محمد بن آدم بن كمال الهروى (٤١٤ هـ) . وقد استدرك فيه ابن قتيبة على أبى عبيدة فى نيف وخمسين موضعا .

(١) رقم ٣٤ ، ٣٥ لغة .

(١٠) مشكل الحديث :

ذكره ابن خلكان ، والخطيب ، والسمعانى ، وٱبن الأنبارى ، والقفطى ، وصاحب طبقات فقهاء السادة الحنفية ، وٱبن العماد .

ويذكر ابن النديم كتابا لأبن قتيبة بٱسم «المشكل» . ولا ندرى أهو : مشكل الحديث هذا، أم هو مشكل القرآن؟ وأغلب الظن أن ٱبن قتيبة إذا ذكر «المشكل» ولم يضف إليه أراد : مشكل القرآن .

ثم يستطرد ٱبن النديم ويذكر كتابين آخرين فى هذا الغرض وهما :

(١) مختلف الحديث .

(٢) اختلاف تأويل الحديث .

ويذكره الداودى ، والسيوطى ، بٱسم : مختلف الحديث .

ويورده حاجى خليفة بٱسم : اختلاف الحديث ، وبٱسم : كتاب المناقضة .

وبدار الكتب المصرية نسخة منه[1] بٱسم : الرد على من قال بتناقض الحديث .

ويسميها مفهرس دار الكتب بٱسم : المشتبه من الحديث والقرآن، وذكر الأحاديث التى قيل بتناقضها .

ويذكره «جورجى زيدان» فى تاريخ الآداب العربية[2] بٱسم : المشتبه من الحديث والقرآن .

وقد ظهر هذا الكتاب مطبوعا بالقاهرة (١٣٢٦ هـ) . بٱسم : تأويل مختلف الحديث .

وظاهر أن هذه الأسماء كلها لكتاب واحد .

---

(١) رقم ع ٢٠٠ مجاميع م .   (٢) ٢ : ١٧١ .

(١١) المسائل والأجوبة :

ذكره الداودى ، والسيوطى ، بهذا الاسم .

وذكره ابن النديم ، وابن خلكان ، والقفطى ، وصاحب طبقات فقهاء السادة الحنفية ، باسم : المسائل والجوابات .

ومنه نسخة بدار الكتب المصرية[1] ، وعنوانها : كتاب المسائل .

وقد طبع فى مصر (١٣٤٩ هـ) يحمل عنوانا : المسائل والأجوبة فى الحديث واللغة .

ولعل هذه الإضافة اجتهاد من الناشر ، إذ موضوع الكتاب أسئلة وجهت إلى ابن قتيبة فى الحديث واللغة ، فأجاب عنها .

(١٢) دلائل النبوة :

ذكره ابن النديم ، والداودى ، والسيوطى ، وحاجى خليفة ، بهذا الاسم .

وذكره ابن الأنبارى باسم : دلائل النبوة من الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام .

ويسميه القاضى عياض فى « المدارك » : أعلام النبوة .

وبالخزانة التيمورية بالقاهرة كتاب لابن قتيبة باسم : معجزات النبى صلى الله عليه وسلم .

وبهذا الاسم ذكره أبو الطيب اللغوى فى كتابه « مراتب النحويين » .

(١) ٦ لغة ش .

(١٣) جامع الفقه :

ذكره ابن النديم فى « الفهرست » .

وذكره القفطى باسم : كتاب الفقه .

ويذكر ابن النديم، وابن خلكان، والقفطى، وصاحب طبقات فقهاء السادة الحنفية، وحاجى خليفة، كتابا له آخر فى هذا الموضوع باسم « كتاب التفقيه » .

ويقول عنه ابن النـديم : رأيت منه ثلاثة أجزاء نحـو ستمائة ورقة، وكانت تنقص على التقـريب جزءين . وسألت عن هـذا الكتاب جماعة من أهـل الخط فزعموا أنه موجود .

وهو أكبر من كتب البندنيجى وأحسن منها .

وظاهر أن الاسمين لكتاب واحد .

(١٤) كتاب الأشربة :

ذكره ابن النديم، وابن خلكان، والقفطى، وصاحب طبقات فقهاء السادة الحنفية، وابن العماد، وحاجى خليفة .

وأشار إليه المؤلف فى كتابه الميسر والقداح (١) .

ونقل عنه ابن عبد ربه فى كتابه « العقد الفريد (٢) » فى أكثر موضع .

ونشر أكثره المستشرق أرثوركى فى مجلة « المقتبس (٣) » .

وقد طبع الكتاب بتحقيق محمد كرد على سنة (١٩٤٧ م) .

---

(١) الميسر والقداح طبعة السلفية (ص ٤٣)

(٢) ٢٣٥، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٦٢ (طبعة لجنة التأليف) .

(٣) المجلد الثانى (٢٣٤ — ٢٤٨، ٣٨٧ — ٣٩٥، ٤٣٠، ٤٣٦، ٥٢٩، ٥٣) .

(١٥) الرد على المشبهة :

ذكره ابن النديم، والداودى، والسيوطى، والقفطى .

وظاهر أنه هو هذا الكتاب الذى طبع فى مطبعة السعادة سنة (١٣٤٩ ﻫ) بتحقيق المرحوم الشيخ محمد زاهد الكوثرى، باسم : كتاب الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة .

(١٦) أدب الكاتب :

ذكره ابن النديم، وابن خلكان، والسمعانى، والطيب فى « قلادة النحر »، وابن كثير، والقفطى، وابن العماد الحنبلى، بهذا الاسم .

وذكره الخطيب، وابن الأنبارى، باسم : أدب الكتاب .

ويزكى هذه التسمية اسم الشرح الذى وضعه ابن السيد البطليوسى (٤٢١ ﻫ) عليه وسماه : الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب .

وقد تعرض له بالشرح غير « ابن السيد » كثيرون، منهم : الجواليق (٥٣٩ ﻫ)، والجذامى (٨ص ٥ ﻫ)، وإسحاق بن إبراهيم الفارابى (٣٥٠ﻫ) .

كما شرح بعضهم خطبته . مثل : الزجاجى (٣٥٠ ﻫ)، وابن فاخر النحوى (٣٣٨ﻫ) .

وقد طبع الكتاب مرات فى مصر وغير مصر .

(١٧) عيون الشعر :

ذكره ابن النديم. وقال: إنه يحتوى على عشرة كتب، وذكر سبعة منها، وهى: كتاب المراتب — كتاب القلائد — كتاب المحاسن — كتاب المشاهد — كتاب الشواهد — كتاب الجواهر — كتاب المراكب .

ثم ذكر ابن النـديم كتابا آخر لابن قتيبــة أسماه : المراتب والمنـاقب من عيون الشعر .

وظاهر أنه كتاب من هذا الكتاب « عيون الشعر » .

(١٨) كتاب المعانى الـكبير :

ذكره ابن النديم باسم : معانى الشعر الكبير . وذكر أنه يحتوى على اثنى عشر كتابا، وهى :

(١) كتاب الفرس — ستة عشر بابا .

(٢) كتاب الإبل — ستة عشر بابا .

(٣) كتاب الحرب — عشرة أبواب .

(٤) كتاب القدور — عشرون بابا .

(٥) كتاب الديار — عشرة أبواب .

(٦) كتاب الرياح — أحد وثلاثون بابا .

(٧) كتاب السباع والوحوش — سبعة عشر بابا .

(٨) كتاب الهوام — أربعة عشر بابا .

(٩) كتاب الإيمـان والدواهى — سبعة أبواب .

(١٠) كتاب النساء والغزل — باب واحد .

(١١) كتاب الشيب والكبر — ثمـانية أبواب .

(١٢) كتاب تصحيف العلماء — باب واحد .

وقد أشار إليه ابن قتيبة فى كتابه «عيون الأخبار»[1]، حيث يقول: وقد فسرت هذا الشعر فى كتابى المؤلف فى أبيات المعانى فى خلق الفرس .

(١) ١ : ١٥٨

وما أشار إليه موجود فى المعانى[1] .

وفى خزانة أيا صوفيا الجزء الأوّل من كتاب باسم : المعانى لأبن قتيبة وهـذا الجزء فى الخيل[2] .

وفى خزانة المكتب الهندسى بلندن الجزء الثانى منه، وأوّله : باب الذباب .

وقد طبع ماوجد من هذا الكتاب فى الهند (سنة ١٣٦٨هـ) فى ثلاثة مجلدات .

والكتاب الثـانى عشر من كتاب المعـانى ، وهو « تصحيف العلمـاء » لا يزال مفقودا .

وقد ألّف آبن المرزبان عبد الله بن جعفر بن درستويه (٣٤٧ هـ) فى الرد عليه كتابا أسماه : الرد على آبن قتيبة فى تصحيف العلماء .

(١٩) ديوان الكتّاب :

ذكره ابن النديم، والسيوطى، وحاجى خليفة .

وأظن أنه كتاب من أحد كتابين : المعانى، أو عيون الشعر، فعنوانه لا يوحى بأنه شىء مستقل — بل هو باب من كتاب .

(٢٠) تقويم اللسان :

ذكره حاجى خليفة .

وذكرته دار الكتب المصرية فى فهرسها على أنه الجزء الثـانى من كتاب بهـذا الاسم لأبن قتيبة[3].وليس إلا كتابا من كتاب أدب الكاتب، الذى ينتظم أربعة كتب : كتاب المعرفة — كتاب تقويم اليد — كتاب تقويم اللسان — كتاب الأبنية .

(١) ١ : ١١٠ — ١١٢ طبعة الهند . (٢) رقم ٤٠٥٠ (٣) لغة ٣٣٠

(٢١) خلق الإنسان :

ذكره — ابن النديم ، والداودى ، والسيوطى ، وحاجى خليفة .

(٢٢) كتاب الخيل :

ذكره ابن النديم ، وابن خلكان ، والداودى ، والسيوطى ، والقفطى ، وصاحب طبقات فقهاء السادة الحنفية ، بهذا الاسم .

وذكره حاجى خليفة باسم : كتاب الحيل ، بالحاء المهملة والياء المثناة .

(٢٣) كتاب الأنواء :

ذكره ابن النديم ، وابن خلكان ، والداودى ، والسيوطى ، والسمعانى ، والقفطى ، وصاحب طبقات فقهاء السادة الحنفية ، وحاجى خليفة .

وذكره ابن قتيبة فى كتابه « المعانى »[1] ومنه مخطوطه بالخزانة الزكية .

(٢٤) جامع النحو الكبير :

ذكره ابن النديم «والداودى» ، والسيوطى ، والقفطى ، وحاجى خليفة .

(٢٥) جامع النحو الصغير :

ذكره ابن النديم ، والداودى ، والسيوطى ، والقفطى ، وحاجى خليفة .

(٢٦) الميسر والقداح :

ذكره ابن النديم ، وابن خلكان ، والقفطى ، وصاحب طبقات فقهاء السادة الحنفية ، وحاجى خليفة .

---

(١) ١ : ٣٧٥ — ٣٧٨

وذكره المـؤلف فى كتابه « الأنواء »[1] حيث يقـول : « وقـد بينت هذا فى كتاب الميسر » .

وقد طبع هـذا الكتاب بالمطبعـة السلفية سـنة ١٣٤٢ ﻫ بتحقيق الأسـتاذ محب الدين الخطيب .

(٢٧) فضل العرب على العجم :

ذكره ابن قتيبـة فى كتابه « عيون الأخبار » حيث يقول : « وقـد أفردت للشعراء كتابا ، وللشعر بابا طويلا فى كتاب العرب »[2] .

ونقل عنه ابن عبد ربه فى « العقد الفريد »[3] .

ونشرت قطعة منه فى « رسائل البلغاء »[4] .

ونشر بعضه فى « مجلة المقتبس »[5] .

وبدار الكتب المصرية نسخة منه فى جزءين تنقص من الأول ورقات ، كتب فى أول الجزء الثانى منها : « فضل العرب على العجم » ، كما كتب فى ختام الجزء الأول منهـا : « تم كتاب العرب وعلومها » .

ولعل ضياع الصفحة الأولى منه ممـا جرّ إلى هذا الاضطراب فى اسم الكتاب ، فسـمى مرّة : « فضل العرب على العجم » ، وأخرى : « فضل العرب والتنبيه على علومها » ، وثالثة : « كتاب العرب وعلومها » .

(١) ص ١٠ مخطوطة الخزانة الزكية .

(٢) عيون الأخبار (٢ : ١٨٥) .

(٣) (٢ : ٨٨) طبعة بلاق

(٤) (ص ٢٧٩ — ٢٩٥) طبعة سنة ١٣٣١ ﻫ .

(٥) المجلد الرابع ٦٥٧ — ٦٦٨ ، ٧٢١ — ٧٣٥ .

ولا يبعد أن يكون كتاب « التسوية بين العـرب والعجم » ، الذى ذكره ٱبن النديم ، والقفطى ، على أنه كتاب آخر ، هو هذا الكتاب بٱسم جديد .

(٢٨) عيون الأخبار :

ذكره ٱبن النديم ، وٱبن خلكان ، والخطيب البغدادىّ ، والسمعانىّ ، وٱبن كثير ، وٱبن الأنبارى ، والقفطى ، وصاحب طبقات فقهاء السادة الحنفية ، وٱبن العماد . وقد طبعته دار الكتب المصرية سنة (١٣٤٣ هـ) .

(٢٩) طبقات الشعراء :

ذكره ٱبن خلكان ، والداودىّ ، والسـيوطىّ ، والقفطى ، وٱبن العماد ، بهـذا الأسم .

وذكره « ٱبن النديم » بٱسم : « الشعر والشعراء » .

وقد طبع الكتاب للمـرّة الأولى فى ليدن سنة (١٨٧٥ م) ، ثم أعيد طبعه فيها سنة (١٩٠٤ م) ، ثم طبع للمـرّة الأخيرة فى مصر بتحقيق المرحوم الأستاذ أحمد محمد شاكر سنة (١٣٦٦ هـ) .

(٣٠) الحكاية والمحكى :

ذكره ٱبن النديم .

(٣١) فرائد الدرّ :

ذكره ٱبن النديم .

(٣٢) حكم الأمثال :

ذكره ٱبن النديم .

(٣٣) آداب العشرة :

ذكره ابن النديم .

(٣٤) كتاب العلم :

ذكره ابن النـديم ، والقفطىّ ، بهذا الاسم . وقال ابن النـديم : إنه فى نحو خمسين ورقة .

ثم ذكره الداودىّ ، والسيوطىّ ، باسم : « كتاب القلم » .

(٣٥) تعبير الرؤيا :

ذكره ابن النديم ، وأبو الطيب اللغوىّ ، بهذا الاسم .

وذكره ابن قتيبة فى مقدّمة « عيون الأخبار » باسم : « تأويل الرؤيا » .

(٣٦) الجوابات الحاضرة :

ذكره الداودىّ ، والسيوطىّ ، وحاجى خليفة .

(٣٧) الجرائيم :

لم يذكره أحد لابن قتيبة .

وفى الخزانة الظاهرية بدمشق منه نسخة منسوبة إلى ابن قتيبة (١) ، غير أن هذا الأمر يحتاج إلى شىء من الدرس .

* * *

وإنهم ليعدّون لابن قتيبة أسماء لكتب أخرى ، وأكثر الظنّ أنها ليست كتبا مستقلة ، بل إنها أبواب من كتب ، نحو هذا الذى يذكرونه له من أن له ، كتابا

(١) رقمها ٥٩ لغة .

آسمه « استماع الغناء بالألحان »، معتمدين على ما ذكره حاجى خليفة فى حرف السين حيث يقول : « والعلماء اختلفوا فى استماع الغناء بالألحان، وهى مسألة طويلة الذيل، خصها كثير من المتقدمين بالتصنيف، كالقاضى أبى الطيب، والعلامة أبى محمد بن قتيبة .

فما نشك فى أن آبن قتيبة كتب فى هذا الموضوع، ولكن الذى نشك فيه أن يكون له كتاب بهذا الاسم .

وقد أشرنا قبلُ إلى شيء من هذا التكرار، مثل كتاب « الفرس » الذى ذكره القفطى، وهو من معانى الشعر، وكتاب « تقويم اللسان » الذى ذكره حاجى خليفة وهو من « أدب الكاتب »، وكتاب « المراتب والمناقب » الذى ذكره آبن النديم وهو من « عيون الشعر »، وكتاب « الأبنية » الذى ذكره القاضى عياض، وهو من « أدب الكاتب » .

ولعل الدافع الذى دفع هؤلاء إلى هذا التوسع فى الجمع شيء من الجهل بمحتويات كتب آبن قتيبة، وذلك لأنهم عرفوا أكثرها بالسماع .

وشيء آخر، هو ما قرءوه وسمعوه من بعض المؤرخين، مثل صاحب « التحديث بمناقب أهل الحديث » حين يذكر أن كتب آبن قتيبة زهاء ثلثمائة كتاب، فيدفعهم هذا إلى التصيد والتحايل .

وما أشك فى أن الذى قصد إليه صاحب « التحديث » هو هذه الأبواب التى احتوت عليها كتب آبن قتيبة، يعدّ كل باب كتابا، وإلا اتهمناه بما نبرئ منه كل متصل بالعلم والتأليف .

وما أميلنا إلى أن نأخذ بما سبق فى «المدارك» ، حين تحدّث عن أبى جعفر أحمد ، وأنه كان يحفظ مصنفات أبيه ، وعدّتها أحد وعشرون مصنفا ، وما هذا العدد بقليل على عالم من العلماء، عُمر مثل ما عمر آبن قتيبة ، لاسيما والمؤلفات من المؤلفات ذات الأجزاء .

***

بقى بعد هذا كتاب شاعت نسـبته إلى آبن قتيبة ، وليس له ، وهو : كتاب الإمامة والسياسـة .

والأدلة على بطلان نسبة هذا الكتاب إلى آبن قتيبة كثيرة، منها :

(١) أن الذين ترجمـوا لآبن قتيبـة لم يذكروا هـذا الكتاب بين ما ذكروه له . اللهم إلا القاضى أبا عبـد الله التوزى المعروف بآبن الشباط . فقد نقـل عنه فى الفصل الثانى من الباب الرابع والثلاثين من كتابه «صلة السمط» .

(٢) أن الكتاب يذكر أن مؤلفـه كان بدمشق، وآبن قتيبة لم يخرج من بغـداد إلا إلى الدينـور .

(٣) أن الكتاب يروى عن أبى ليلى، وأبو ليلى كان قاضياً بالكوفة سنة (١٤٨ هـ) أى قبل مولد آبن قتيبة بخمس وستين سنة .

(٤) أن المؤلف نقل خبر فتح الأندلس عن آمرأة شهدته . وفتح الأندلس كان قبل مولد آبن قتيبة بنحو مائة وعشرين سنة .

(٥) أن مؤلف الكتاب يذكر فتح موسى بن نصير لمراكش، مع أن هذه المدينة شيدها يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين سنة ٤٥٥ هـ ، وآبن قتيبة توفى سنة (٢٧٦ هـ) .

كما نسبت إليه أيضا وصية إلى ولده، نشرها الدكتور إسحاق موسى الحسينى فى مجلة الجامعة الأمريكية ببيروت، عن مجموعة خطية محفوظة بمكتبة تلك الجامعة. وإن أسلوبها ليكاد يوحى بأنها لغير ابن قتيبة.

* * *

وما من شك فى أن النظر فى كتب ابن قتيبة، واستقصائها ثم استصفائها، لموضوعٌ جدير بأن يُفرد له بحث مستقل، وما هو بالقليل.

غير أن الذى يعنينا بما سقناه من مؤلفات ابن قتيبة هو أن ندال لك، على أن تلك البيئة التى بسطنا لك أمرها، شغلت ابن قتيبة بها ولم يكد يفلته ركن لم يشارك فيه.

شارك فى محنة خلق القرآن وكان له فيها رأى، وشارك فى فتنة المشبهة والمجسمة، وكان له فيها رأى؛ وشارك فى الخلاف النحوى بين البصرة والكوفة، وجعل بينهما مدرسة ثالثة فى بغداد، وكان هو زعيمها؛ وشارك فى تفضيل العرب على العجم، حين رأى الشعوبية تزداد وتنتشر. ورأى العصر عصر إلمام ومشاركة فى كل العلوم فكان إماما من هؤلاء الأئمة المشاركين.

* * *

ولكنا قبل أن نمضى إلى كتاب «المعارف» نفرده بكلمة مستقلة، نسوق إليك جملة من رأى العلماء عن ابن قتيبة.

أما عن عقيدته فقد وثقه فيها قوم واتهمه فيها آخرون، يجعله «ابن تيمية» لأهل السنّة مثل الجاحظ لأهل المعتزلة[1].

(١) تفسير سورة الإخلاص (٩٥).

ويقول فيـه الحافظ السلفي (٥٧٦ هـ) : «كان ٱبن قتيبة من الثقات وأهل السـّـــنة» .

ويقول الخطيب البغدادى : «وكان — يعنى ٱبن قتيبة — ثقة دينا فاضلا» .

ويقول ٱبن حزم أبو محمد على بن أحمد بن سعيد (٤٥٦ هـ) : «كان ٱبن قتيبة ثقة فى دينـه وعلمه» .

ويقول الحافظ الذهبي فى «ميزان الاعتدال» : «أبو محمد صاحب التصانيف، صدوق قليل الرواية .

ويقول فى «تذكرة الحفاظ» : «ٱبن قتيبة من أوعية العلم، لكنه قليل العمل فى الحـــديث» .

ويقول ٱبن الجوزى : «كان عالمـا فاضلا» .

ويقول ٱبن خلكان : «كان فاضلا ثقة» .

ويقول مسلم بن قاسم : «كان ٱبن قتيبة صدوقا من أهل السّنة» .

وغير هؤلاء من العلماء يتهمونه ويقولون فيه غير ما يقول هؤلاء .

يقـول الدارقطنى أبو الحسن على بن عمر بن أحمـد بن مهدى (٣٨٥ هـ) : «كان ٱبن قتيبة يميل إلى التشبيه، منحرفا عن العترة، وكلامه يدل عليه» .

ويقول البيهقى أبو بكر أحمد بن الحسين (٤٥٨ هـ) : «كان ٱبن قتيبة يرى رأى الكرامية. وليس بين المشبهة والكرامية كبير فرق. فالكرامية هم أتباع محمد بن كرام. وكان يذهب إلى التجسيم والتشبيه، وينعى على «علىّ» صبره على ما جرى لعثمان» .

* * *

ولقد نسى هؤلاء أن هـذا المتهم بالتشبيه له كتاب فى الرد على المشبهة، وأن له فى هذا الكتاب عبارات تدل على ميله إلى « على » وآله [1]، ونسوا أيضا أن له كتابا فى تفضيل العرب . ولكن كيف لهؤلاء المتهمين يتهمونه دون دليل ؟

فى الحق إن لابن قتيبة من الكلام فى كتبه ما يثير شيئا من الريبة، اقرأ له قوله فى كتابه « مشكل القرآن » [2] : « وكان أصحاب رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ورضى عنهم، وهم مصابيح الأرض، وقادة الأنام ومنتهى العلم، إنمـا يقرأ الرجل فيهم السورتين والثلاث والأربع، والبعض والشطر من القرآن، إلا نفرا منهم وفقهم الله لجمعـه وسهل عليهم حفظه . قال الشعبى : توفى أبو بكر وعمر وعلى رحمهم الله ولم يجمعوا القرآن. وقال : لم يختمه أحد من الخلفاء غير عثمان . و روى عن شريك عن إسماعيل بن أبى خالد أنه قال : سمعت الشـعبى يحلف بالله عز وجل : لقـد دخل « علىّ » حفرته وما حفظ القرآن » .

نظن أن هـذا من كلام ابن قتيبة هو الذى أثار تلك الثائرة حوله، فانبرى له من انبرى يتهمونه .

اسمع لأبى الحسين أحمـد بن فارس (٣٩٥ ﻫ) يقول فى كتابه « الصاحبى » [3] تعقيبا على هذا الذى ذكره ابن قتيبة : « وابن قتيبة يطلق إطلاقات منكرة، ويروى أشـياء مشنعة، كالذى رواه عن الشعبى أن أبا بكر وعمر وعلياً توفوا ولم يجمعوا القرآن، وأن عليا دخل حفرته وما حفظ القرآن . وهذا كلام شنع جدا » .

(١) الرد على الجهمية والمشبهة (ص ٤٧) . (٢) ص ١٨١

(٣) ص ١٧٠

* * *

وآبن قتيبة الذي ينقل هـذا راويا ، يذكر غيره مدافعا عن أهل البيت ، ممـا يعبر عن رأيه ومعتقده، وفرق بين أن يزل العالم وهو يروى لينصف التاريخ، وبين أن يزل وهو يفصح عما يعتقد . فآبن قتيبة إن زلّ راويا فلم يزل معتقدا .

آسمع إليه وهو يقول فى كتابه « الرد على الجهمية »[1] : « وجعلوا آبنـه الحسين عليه السلام خارجيًا شاقًا لعصا المسلمين حلال الدم . وسوّوا بينه فى الفضل وبين أهل الشورى . . . فإن قال قائل . . . : أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم على . وأبو سبطيه الحسن والحسين وأصحاب الكساء : علىّ وفاطمة والحسن والحسين . تمعرت الوجوه وتنكرت العيون » .

فهذا القول ممـا ينصف آبن قتيبة لا شك ، وليس فى الأولى عليه حرج .

* * *

وأما عن علمه، فلم يعدم « آبن قتيبة » فيه الطاعن إلى جانب المنصف :

أما عن الذين أنصفوه هنا ، فيكادون يكونون هم الذين أنصفوه هناك ، عند الحديث عن معتقده، وتكاد تكون كلماتهم هناك هى كلماتهم هنا .

وأما عن الذين آتهموه فى علمه ، فإنا نجدهم نفرا آخرين، ولعل أقدم من أنكر على آبن قتيبة علمه، هو آبن الأنبارى (٣٢٨هـ) . نجد ذلك على لسان آبن تيمية حين يقول[2] : « وآبن الأنبارى من أكثر الناس كلاما فى معانى الآى المتشابهات ، يذكر فيها من الأقوال ما لم ينقل عن أحد من السلف ، ويحتج لمـا يقوله فى القرآن بالشاذ من اللغة » . وقصده بذلك الإنكار على آبن قتيبة .

(١) ص ٤٧ (٢) تفسير سورة الإخلاص (٩٥) .

ومن بعد ابن الأنبارى : أبو الطيب (٣٥١ هـ)، إذ يقول فى كتابه مراتب النحويين[1] : « وكان أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى أخذ عن أبى حاتم والرياشى وعبد الرحمن بن أخى الأصمعى .

وقد أخذ ابن دريد عن هؤلاء كلهم وعن الأشناندانى، إلا أن ابن قتيبة خلط عليه بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها عن ثقات . وكان يشرع فى أشياء لا يقوم بها، نحو تعرضه لتأليف كتابه فى النحو، وكتابه فى تعبير الرؤيا، وكتابه فى معجزات النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله، وعيون الأخبار، والمعارف، والشعراء، ونحو ذلك مما أزرى به عند العلماء وإن كان نفق بها عند العامة ومن لا بصيرة له » .

وغير ابن الأنبارى وأبى الطيب نجد : الحاكم أبا عبد الله محمد النيسابورى (٤٠٥ هـ) الذى يقول : « أجمعت الأمة على أن القتيبى كذاب » .

كما نجد « ابن تغريبردى »[2] يروى (٨٧٤ هـ) « وكان ابن قتيبة خبيث اللسان يقع فى حق كبار العلماء » .

***

وكلام الذين تنقصوا ابن قتيبة كله لا يخرج عن هذين الشقين، شق فيه المآخذ العلمية، وشق معه السب والتشهير .

وما نشك فى أن هذه الرغبة الطامحة من ابن قتيبة، التى دفعته إلى أن ينزل فى ميادين مختلفة، حمّلته تبعات لم يستطع أن ينهض بها كلها على سواء، وربما اضطرته إلى شىء من الجمع الذى يفقد الإنسان معه التحرى والتثبت، وهذا مما مكن لخصوم الشق الثانى من أن يتهموه بالكذب ونحوه .

***

(١) مراتب النحويين (ص ١٣٧) . (٢) النجوم الزاهرة (٣ : ٧٥) .

٣ ـــ كتاب المعـارف

هذا كتاب من كتب ابن قتيبة المعروفة ، ذكرته له جمهرة كبيرة من المؤرخين الذين ترجموا له ، وما فى نهج المترجمين أن يذكروا الكتب كلها ، وإنما هم يقفون عند ما يصلهم علمه ، أو يقفون له على أثر . وفى إجماع جمـلة منهم على شىء دليل على ذيوعه ، ثم دليل على قدر هذا الشىء ، إن صح هذا الظن .

وكتاب « المعارف » هذا : ذكره له ابن النديم (٣٨٥ هـ) فى « الفهرست » والخطيب البغدادى (٤٦٣ هـ) فى كتابه «تاريخ بغداد» ، والسمعانى (٥٦٢ هـ) فى كتابه « الأنساب » ، وابن الانبارى (٥٧٧هـ) فى كتابه « نزهة الألبا » ، والقفطى (٦٤٦ هـ) فى كتابه « إنباه الرواة » ، وابن خلكان (٦٨١ هـ) فى كتابه « وفيات الأعيان » ، وابن كثير (٧٧٤ هـ) فى كتابه « البداية والنهاية » ، وصاحب طبقات فقهاء السادة الحنفية ، والطيب (٥٩٢ هـ) فى كتابه «قلادة النحر فى وفيات أعيـان الدهر» ، وابن العماد (١٠٣٢ هـ) فى كتابه « شـذرات الذهب » ، وحاجى خليفـة فى كتابه « كشف الظنون » .

كلهم مجمع على أن اسمه « المعارف » . يزيد عليهم حاجى خليفة فيقول : «المعارف فى التاريخ» ولهذه الزيادة صدى ، فقديما نسب بعض الناس إلى ابن قتيبة كتابا فى التاريخ .

يقول المسعودى[1] ، وينقل عنه هذا حاجى خليفة وهو يتحدث عن تاريخ لأبى حنيفة الدينورى ٢٨٢ هـ[2] . « قال المسعودى : هو كبير ، أخذ ابن قتيبة ما ذكر وجعله عن نفسه » .

---

(١) مروج الذهب (٢ : ٤٤٢) . (٢) كشف الظنون (١ : ٢٨) .

وجاء فهرست الخزانة الظاهرية بدمشق يؤكد هذا، فقد ذكر (برقم ٨٠ تاريخ) كتابا بآسم : تاريخ آبن قتيبة .

وظل النــاس فى شك من هــذا حتى أتيحت فرصة للأستاذ إسحاق الحسينى ، وهو يضع بحثه، أن يرى النسخة ويدرسها، فيتضح له أنها كتاب المعارف نفسه [(١)] .

ولعل سابقا قرأها فعرف أنها شيء فى التاريخ، وأنها لابن قتيبة، فعنونها بهذا الاسم .

*
* *

ولعل آبن قتيبة أوّل من سمى كتابا بهذا الاسم — أعنى : المعارف — فما نعلمه لمتقدم سبق آبن قتيبة، ولكنا نعلمه لمتأخرين جاءوا بعده، فأبو الفتح ناصر بن محمد (٤٤٤ هـ) له كتاب بهذا الاسم ، وللغزالى أبى حامد محمــد بن محمــد (٥٠٥ هـ) كتاب : المعارف الفعلية، ولمحمد بن عبد الملك الهمدانى (٥٢١ هـ) أيضا كتاب : المعارف فى التاريخ [(٢)] ، ولأبى الغنائم سعيد بن سليمان الكوفى (٦١٦ هـ) كتاب اسمه : معارف القلوب بذكر كشف الغيوب . وللإمام النقشبندى أحمــد بن عبد الأحد (١٠٣٤ هـ) كتاب آسمه : المعارف الدينية .

*
* *

والقصد من هذه التسمية ألوان مختلفة من المعرفة، وضمها بعضها إلى بعض، قد تتسق ويصل بعضها ببعض رابط ما، وقد تختلف وحسبها أن اسم المعارف يجمعها .

غير أن ابن قتيبة، وإن كان السابق فى ابتداع هذا الاسم وجعله عنوانا للكتاب، فقد كان مسبوقا فى هــذا اللون من التأليف ، فلوكيع القاضى محمد بن خلف كتاب

(١) The life and works of Ibn Kutayba P. 63.

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان .

الشريف، يجرى « المعارف » لأبن قتيبة مجراه.[1] ووكيع من شيوخ ابن قتيبة، حدث عنه وروى فى كتابه « عيون الأخبار » فى أكثر من موضع[2]:

ولمحمد بن حبيب البغدادى (٢٤٥ هـ) كتاب اسمه : المحبّر، يكاد تتفق كثرة من أبوابه مع أبواب كتاب « المعارف » وإن اختلفا فى السرد . حتى لقد قيل : إن ابن قتيبة نقل كتابه « المعـارف » منه . ففى مقدمة « الفاخر » للفضـل ابن سلمة : « عن أحمد بن عبيد الله بن أحمد قال : أملى علينا أبو بكر محمد بن يحيي الصولى رحمه الله هذا الكتاب . وكان سبب إملائه إياه علينـا أن رجلا ممن كان يحضر مجلسه ، يحضر مجلس أبى بكر محمـد بن القاسم الأنبارى . رحمه الله . فرأى يوما فى يده كتابا، فأخذه يقـرؤه ، فوجده مجلدا من كتاب الزاهر[3]، فقال : هـذا منقول من كتاب الفاخر للفضل بن سلمة، كما نقل أبو محمد بن قتيبة كتابه المعارف من كتاب المحبر لابن حبيب » .

ونجد مؤلفا معاصرا — هو ابن رسته أبو على أحمد بن عمر — قد ضمن كتابه «الأعلاق النفيسة» جملة من الأبواب التى انتظمها كتاب «المعارف» ،فتحدث عن:

الأوائل،والأشراف،وأهل العاهات،وأسماء المعلمين،ومن توالوا فى نسق واحد.

يكاد يكون المكتوب هنا هو المكتوب هناك ، مع اتفاق فى المنقول عنهم .

وكما حاكى ابنُ قتيبة غيره ونقل عنـه — إن صح هـذا — حُوكى ابن قتيبة فى كتابه « المعـارف » واحتُذى حذوه . فابن الجـوزى (٥٩٧ هـ) كان فى كتابه «تلقيح فهوم الأثرة فى التاريخ والسيرة» مصطنعا نهج ابن قتيبة فى كتابه «المعارف» وجاريا فيه على أسلوبه .

(١) الفهرست لابن النديم (١١٤) .
(٢) عيون الأخبار (١ : ٢٦٥ ؛ ٢ : ٢٠ ، ٢٦ ؛ ٣ : ٢١ ، ١٥٨ ، ٣١٦) .
(٣) الزاهر، فى معانى الكلام، لابن الأنبارى، المتوفى ٥٧٧ هـ .

يقول حاجى خليفة[1]، وهو يعرِّف بهـذا الكتاب — أعنى كتاب تلقيح فهوم الأثرة — وهو كتاب على أسلوب المعارف لآبن قتيبة .

تأريخ تأليف الكتاب :

ونكاد نفيد من هذه الظنون حول كتاب «المعارف» — من أن ابن قتيبة فيه ناقل عن آبن حبيب (٢٤٥ هـ) وأبى حنيفة الدينورى (٢٨٢ هـ) — أن الكتاب ألفه آبن قتيبة بأخرة، وآبن قتيبة وهو يؤرخ للخلفاء آنتهى إلى ولاية المعتمد على الله محمد بن جعفر (٢٥٦ هـ) ووقف عندها ولم يزد. ولو أن المعتمد كان قصير الأجل، وأدركته منيته وآبن قتيبة حىّ، لسجل هذا آبن قتيبة، وأفدنا من هذا — لو كان وقع — شيئا جديدا يحدد انتهاء ابن قتيبة منه على وجه التقريب .

ولو أن ابن قتيبة أهـدى هذا الكتاب، كما أهدى أدب الكاتب لأبى الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، لأفدنا منه : متى بدأ آبن قتيبة به .

ولكنا نرى «الموفق» يُشخص آبن قتيبة إلى بغداد سنة ست وستين ومائتين، فيقرأ عليه هذا الكتاب — أعنى المعارف — ثم يجيزه بعشرة آلاف دينار[2] .

وأنت تعرف أن الموفق بالله طلحة بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم لم يَلِ الخلافة آسما، ولكنه وليها عمـلا، فلقد عاش إلى جانب أخيه المعتمد على الله، منذ ولى الخلافة سنة ٢٥٦ هـ، يدير هو شؤون الخلافة ويسوس الأمور عن أخيه، الذى لم يكن له من الأمر شىء .

---

(١) كشف الظنون (١ : ٤٨ — ٤٨١) .

(٢) اللوحة رقم ١ — وهى الصفحة الأخيرة من نسخة : ل .

إذن فآبن قتيبة ، حين قصد « الموفق » مستجيبا لدعوته ، كان قـد فرغ من الكتاب ، وكان الكتاب قد أخذ مكانه فى سوق التأليف ، شاع آسمه وعرف قدره . وأغلب الظن أن ظهوره وشيوع آسمه لم يكن قبل هذا التاريخ بكثير . فما نظن « الموفق » أبطأ كثيرا ، وما نظنه فاته أن يدعو إليه آبن قتيبة بعد ظهور الكتاب بأمد طويل .


[illegible]
الردافة فيهم قال جرير
ويوم ابي قابوس لم نعطه المنى ولكن صدعنا البيض حتى تبددا
تم كتاب المعارف بحمد الله وحسن توفيقه والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل
وكان الفراغ من تعليقه يوم الاربعا سلخ شعبان المبارك
سنة عشر وسبعماية بمدينة [illegible] حرسها الله تعالى
بخط العبد الفقير الى رحمة الله تعالى وعفوه وغفرانه
محمد بن [illegible] محمد بن حسن بن [illegible] الاربلي
غفر الله له ولوالديه [illegible] بالرحمة
ولجميع المسلمين انه غفور رحيم
[illegible]

اللوحة الأخيرة من مخطوطة « ل »

ونكاد نجزم أن هذا العام — نعنى عام ٢٦٦ هـ — كان العام الذى نفض ابن قتيبة يده من الكتاب، وأخذ يقرؤه على الناس و يقرؤه الناس عليه. فالمعروف عن الموفق أنه كان أديبا عالما بالأنساب، والمعروف عنــه أنه كان الخليفة الفعلى على حين كان المعتمد الخليفة الأسمى، والمعروف أن الخلفاء كانوا أسبق النــاس إلى تلق هذه الكتب الجديدة وتلق أصحابها .

نخلص من هذا إلى أن ابن قتيبة لم يكن قد وضع كتابه، أو لم يكن بدأ ينتهى منــه، عند ما تولى المعتمد الخلافة سنة ٢٥٦ هـ . وأن ذلك امتد به أعواما بعــد ولاية المعتمد، وأنه انتهى من كتابه عام ست وستين ومائتين، وما كاد يفرغ منه حتى دعاه إليه «الموفق» ينتفع بما فيه .

غير أنّا أخيرا نجــد شيئا يلفتنا فى كتاب « المحــبر » ، وهو أن ابن حبيب حين أرّخ للخلفاء انتهى إلى المعتضد . و « المعتضد » ولى سنة تسع وسبعين ومائتين .

ونجد فى نهاية هذا : « قال أبو سعيد السكرى : أخبرنى محمد بن سعيد بذلك كله » .

والسكرى الذى روى الكتاب عن ابن حبيب مات سنة ٢٧٥ هـ .

و إنا نثير هذه لأنّا نجد مثلها فى كتاب « المعارف » ، فعلى حين يذكر ابن قتيبة فى مقدمته أنه سينتهى إلى المستعين بالله، حيث يقول : «ثم الخلفاء، من لدن معاوية بن أبى سفيان إلى أحمد بن محمد بن المعتصم المستعين بالله»(١) . نجد فى الكتاب بعد ذلك — عند ذكر الخلفاء — ذكرا لثلاثة بعد المستعين بالله، وهم : المعتز بالله، ومحمد المهتدى، والمعتمد على الله .

(١) المعارف (٦) .

تنتهى الزيادة فى « المعارف » إلى المعتمد .

وتنتهى الزيادة فى «المحبر» إلى المعتضد، بزيادة خليفة على ما فى «المعارف» .

فهذا اتفاق أو شبه اتفاق اجتمع الكتابان عليه . وهو فى الأول ليس من وضع آبن حبيب ، ولكنه فى الثانية قد يكون من وضع آبن قتيبة ، وقد يكون من وضع غيره .

فإذا كان هذا من وضع آبن قتيبة انتهينا إلى رأى جديد يلق ضوءا على وضع الكتاب، وهو أن آبن قتيبة وضع كتابه أيام المستعين (٢٤٨ هـ — ٢٥٢ هـ) .

و بق الكتاب بين يدى آبن قتيبة حتى أدرك به أيام : المعتز، فالمهتدى، فالمعتمد على الله (٢٥٦ هـ) ثم مات آبن قتيبة وترك المعتمد على الله فى الحكم ، فقد كانت وفاة المعتمد على الله سنة ٢٧٩ هـ . وكانت وفاة ابن قتيبة سنة ٢٧٦ هـ .

و إذا كان من وضع غيره كان الكتاب مفروغا منه أيام المستعين (٢٤٨ هـ — ٢٥٢ هـ) و يكون لنا مع الموفق رأى آخر . وهو، و إن لم نعرف سنة ميلاده على التحديد، فهى على التقريب حوالى سنة ٢٣٢ هـ ، لأنه كان أصغر من أخيه المعتمد، الذى كان ميلاده سنة ٢٢٩ هـ . وهو فى تلك الفترة — أى أيام المستعين — كان حدثا ، ثم لم يكن ذا جاه ، وهو لم يبلغ هذا الجاه إلا أيام أخيه الموفق . وحين بلغه استطاع أن يدعو إليه آبن قتيبة ، و يقرأ عليه كتاب «المعارف» .

* * *

ولكن لمَ اختار الموفق هذا الكتاب دون غيره، وهو ليس جديدا، ولآبن قتيبة غيره ؟

والجواب على هذا يسير : فلقد كان « الموفق » معنيا بالأنساب ، والكتاب جانب كبير منه فى الأنساب .

ثم لَمَ أبطأ الموفق عشر سنين ، فقد كان شريكا لأخيه فى الحكم منذ ولى — أى سنة ٢٥٦ هـ ؟ وعلى هذه لا نملك غير أن نقول — إن كان لابد أن نقول — إنه قضاها فى الحرب ضد الطامعين فى أخيه (١) .

كتاب المعارف وكتاب المحبر :

وما نملك « كتاب الشريف » لوكيع ، الذى أشار إليه ابن النديم ، كما لا نملك تاريخ أبى حنيفة ، الذى أشار إليــه المسعودى ، ولكنّا نملك كتاب « المحــبر » لابن حبيب ، الذى يقال إن ابن قتيبة نقل منه . ونحب أن نضم إلى هذا شيئا آخر ، وهو أن ابن حبيب كان له قبــل المحبر كتاب اسمه « المنمق » يكاد يضم أبواب « المحبر » أو أكثرها (٢) .

نقول هــذا لنضع بين يديك كتابين فى غرض واحد تقريبا ، يتفق وغرض ابن قتيبة فى كتابه « المعــارف » يصح أن يكون النقل منهما معــا ، أو النقل من أحدهما مع الاستئناس بالآخر .

والآن فلننظر بين نهج ونهج ، نهج « المحبر » ونهج « المعارف » .

فالمحبر يحدث عن :

١ — المدد التى بين الأنبياء عليهم السلام .

٢ — أعمار الأنبياء .

٣ — ذكر تاريخ العرب .

٤ — مولد النبى صلى الله عليه وسلم .

(١) الكامل لابن الأثير (فى حوادث سنة ٢٧٨ هـ) .

(٢) المحبر (٥١١) .

٥ — تسمية من أقام الحج .

٦ — أسماء الخلفاء الراشدين .

٧ — « الخلفاء الأمويين .

٨ — « الخلفاء العباسيين ... الخ .

وهكذا كتاب « المعارف » يحدث عن هذا كله مع تلوين فى العناوين ومخالفة فى الترتيب .

ولكن قد يقال : هـذا تاريخ لم يملكه آبن حبيب وإنما جمعه ، وكما جمعه آبن حبيب جمعه آبن قتيبة .

ولكن يقال : ما بال آبن قتيبة لم يخالف « آبن حبيب » فيقصد قصدا آخر ، ويسوق مادته مساقا جديدا ؟ .

من الإنصاف لأبن قتيبة أن تذكر أنه لم يسق الموضوعات سوق آبن حبيب بدءا وانتهاء وطريقـة ، ولكنه خالف فى الكثير ، وهو يسوق الحوادث ؛ فضم حيث فرق آبن حبيب ، وأوجـز حيث أطال آبن حبيب ، ثم كان له بعد هذا وذاك نهج فى المساق يجمع ما عند ابن حبيب فى المحبر ، ولكنه يجرى على نسق آخر .

ثم من الإنصاف لأبن حبيب أن نذكر أن آبن قتيبة يكاد يكون قد جعل « المحبر » معتمده فى الكثير من نقله .

ومن الإنصاف لأبن قتيبة أن نذكر أنه فى هذا القليل الذى ترك فيه « المحبر » نقل نقولا ليست فى « المحبر » .

ومن الإنصاف لأبن قتيبة أن نذكر أنه حدّث فى كتابه « المعارف » عن شيوخ له ذكر أسماءهم ، يعزو لهم ما يروى عنهم .

كتاب المعارف :

وبعد فكتاب المعارف موسوعة تتصف بالتنسيق ، مختارة أحسن الاختيار ، مبوبة أجمل التبويب . تذكر الأنساب المتشعبة المتفرعة فى إيجاز مستوعب ، وتلخص التاريخ تلخيصا من غير إخلال ، وتسوق الطرف والملح والنوادر على نهـج محبب شائق ، لا يفلت منها شيء ذو خطر دون أن تشير إليـه وتفصله ، مع إشارة إلى بعض المراجع فيها قصد، وكنا نحب أن يكون فيها إسراف . وهذا ممـا يعاب على ابن قتيبة وغيره من المؤرخين، يذكرون الخبر بسنده، ويحرصون على هذا السند، ولو كان حرصهم على ذكر المراجع مقرونا بهذا الحرص لأدت أمثال هذه الموسوعات نفعها على وجه أوسـع وأعم . ولكن لكل عصر أسلوب، وهكذا كان أسـلوب المتقدمين ، ومنهم ابن قتيبة .

وقد جمعت هـذه الموسوعة — أعنى كتاب المعـارف — كل ما يعنى الناس أن يعرفوه عن أسـلافهم من أخبار ، وما ينقل لهم من حديث . والكتاب لاشك لون من ألوان الثقافات فى ذلك العصر ، يدلك بمـا فيه على ما كان يحرص الناس أن يعرفوه .

وهـو لا يزال مَرجعا ذا بال يُعتمد عليـه ويُرجع إليه، يُسعِف حين تعـوز المُطوَّلات ، ويُغنى حين لا يُحتاج إلى تفصيل .

وقد جمعه ابن قتيبة للناس فأحسن جمعه، وإن كان فاته — وهو الذى ألّف فى الشعر كتابه الجامع : الشعر والشعراء — أن يذكر أسماء الشعراء مع ما يروى لهم

من شعر، فتراه فى بعض المواطن يذكر الشعر دون أن ينسبه إلى صاحبه ، ومنــه الشعر المشهور المعروف ، كأن يذكر بيتا لحسّان ويقول : قال آخر : ويذكر لغير حسان أبياتا ولا يعزوها لأصحابها .

ترى هل نتهم ابن قتيبة كما اتهمه غيرنا فنقول : إنه عدا على كتب غيره فالتهمها وكتب ما كتبوا ؟ .

أو نقول : إنه لم يعنِّ نفسه بشيء من الاستقصاء، حين لا يعوز إلا خفيف الاســتقصاء .

ولكنّا نغتفر له هذه وأمثالهــا مع زحمــة التأليف وكثرة التصنيف ، وإن كان ما نعتذر به له يُملى غيره، فالعِلم الواسع يصحِّح بعضه بعضا، ويفسر ظاهره غامضه.

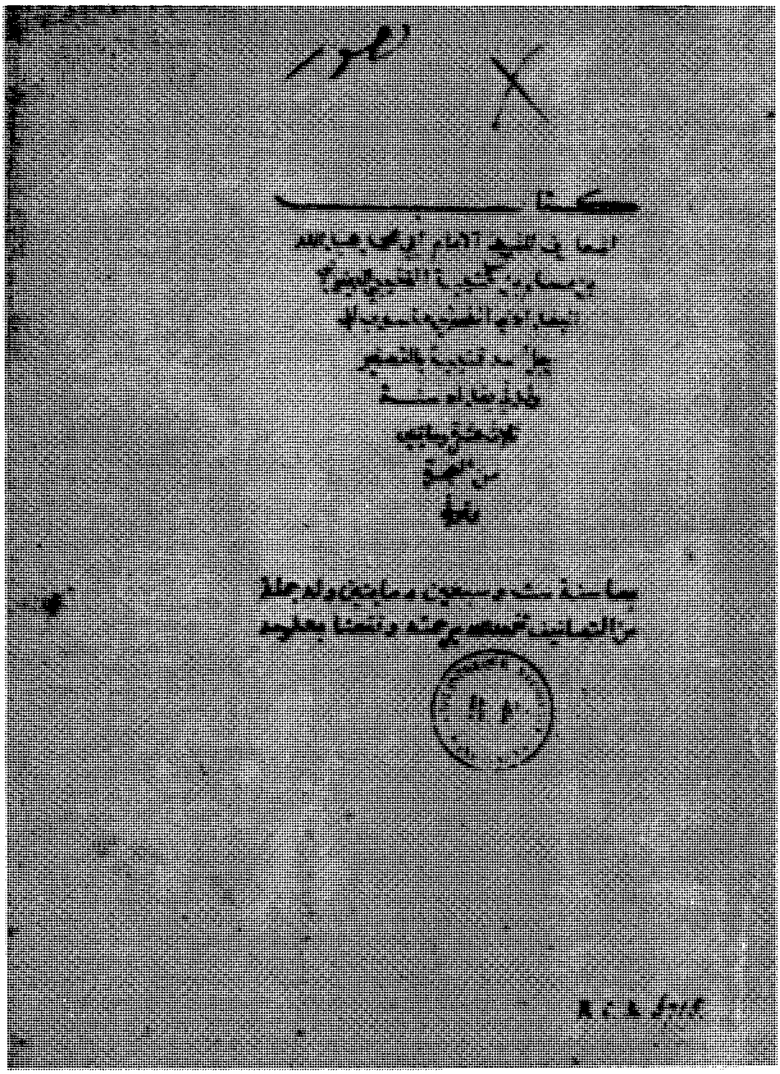
* * *

وبعد . تُرى ما اسم الكتاب ؟ .

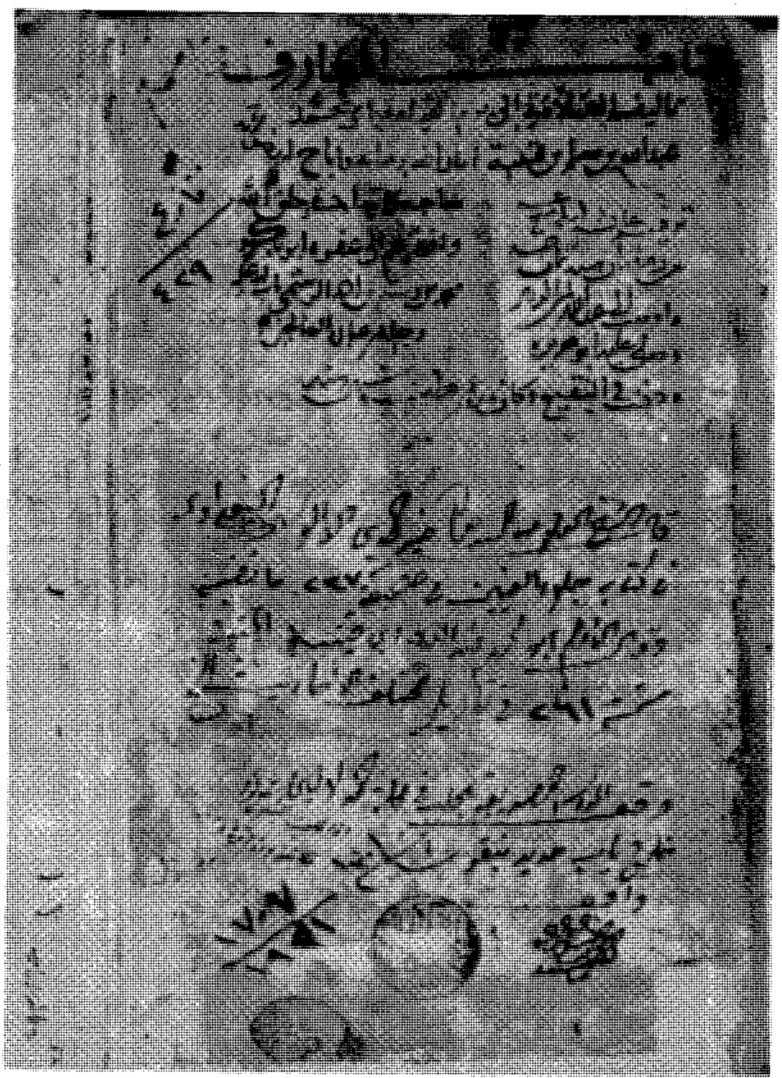
يكاد يكون إجمــاعا بين المؤرخين لابن قتيبة والذاكرى كتبه أن اسم الكتاب « المعارف » معرّفا . وعلى هذه النسخ الخطية كلها لانستثنى منها إلا المخطوطة التى رمزنا إليها بالحرف (ه) فتذكره دون تعريف فتقول « معارف ابن قتيبة »(١) .

ثم يكاد إجماعا بين هؤلاء المؤرخين حين يذكرون الكتاب كلمةً مفردة لا يزيدون عليها شيئا، لا نستثنى منهم إلا حاجى خليفة حين يقول : المعارف فى التاريخ.

(١) انظر اللوحات التالية .



اللوحة الأولى من المخطوطة « ب »



اللوحة الأولى من المخطوطة « م »

وعلى هذا الإجماع جميع المخطوطات التي بين أيدينا لا نستثنى منها إلا المخطوطة التي رمزنا إليها بالحرف (و) فتقول : كتاب المعارف فى أخبار العرب وأنسابهم[1] .

ولو عُدنا إلى كتب ابن قتيبة نستقرئ أسماءها نجد أنها كلها لا تحمل زيادات مفسرة أو شارحة . وهـذا ما يجعلنا نميل إلى أن هـذه الزيادة أو تلك جاءت من وضع واضع ، إما تأثرا برأى من قال إن ابن قتيبة حذا حذو أبى حنيفة فى تاريخه ، ومن هنـا جاءت زيادة حاجى خليفـة ؛ وإما تأثرا بالأبواب الأولى من الكتاب ، فجاءت إضافة تلك الخطية .

ولكنا لا نخلص من هذا حتى نواجه شيئا جديدا ، فنجد المخطوطة التى رمزنا إليها بالحرف (ل) تحمل هذا العنوان « كتاب عوارف المعارف[2] » . ولا نعرف كتابا بهذا الاسم إلا للسَّهروردى أبى حفص عمر (٦٣٢ هـ) .

وكأن قارئا للنسخة ذكر اسمه فى هذه الصفحة الأخيرة وهو — أحمد بن عمر ابن أبى بكر — وكان ذلك سـنة (٧٤٣ هـ) — لفتـه هذا العنوان ، وذكر أنه للسهروردى ، ورجع إلى ابن خلكان (٦٨١ هـ) يتلمس ترجمته ، فإذا هو يقع على ترجمـة لسهروردى آخر ، فيورد منها شيئا نقـلا عن ابن خلكان ، ويختمها بهـذه العبارة : « وليس هو صاحب عوارف المعارف وإنمـا هو غيره » .

فهذا النقل يفيدنا شيئا لاشك ، هو ماذكرناه من تقبُّل هذا القارئ اسم الكتاب على غير يقين وتثبت ، ولكنه لم يقض فيه برأى ، وترك مانقل للقارئين بعده يصور لهم تردده ، ويترك لهم بقية الحكم .

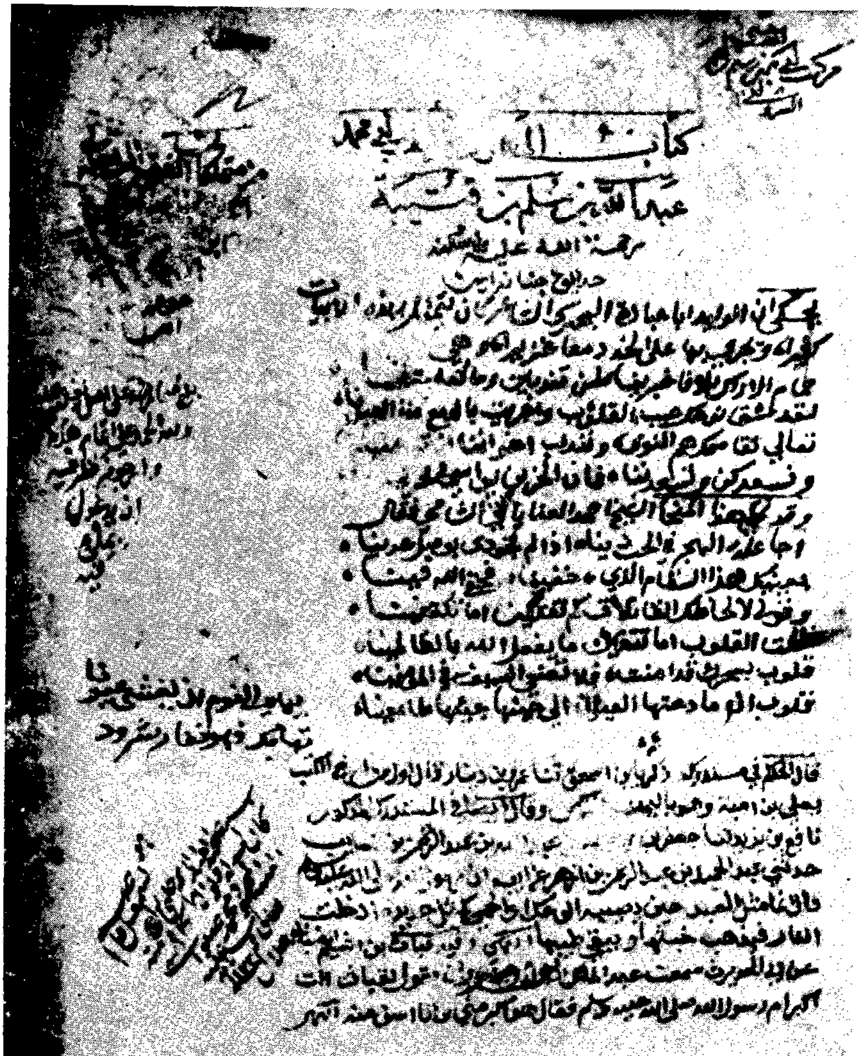
(١) انظر الصفحة الأولى من المخطوطة (و) .
(٢) انظر الصفحة الأولى من المخطوطة (ل) .



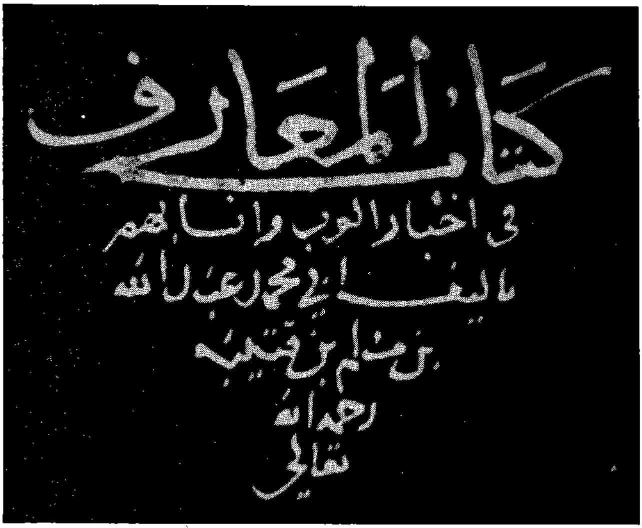
الصفحة الأولى — مخطوطة « ل »

والظريف أن هذه الخطية التي حملت هذا العنوان الجديد تختم الكتاب بهذه العبارة : « تم كتاب المعارف بحمد الله ... الخ »[1] .

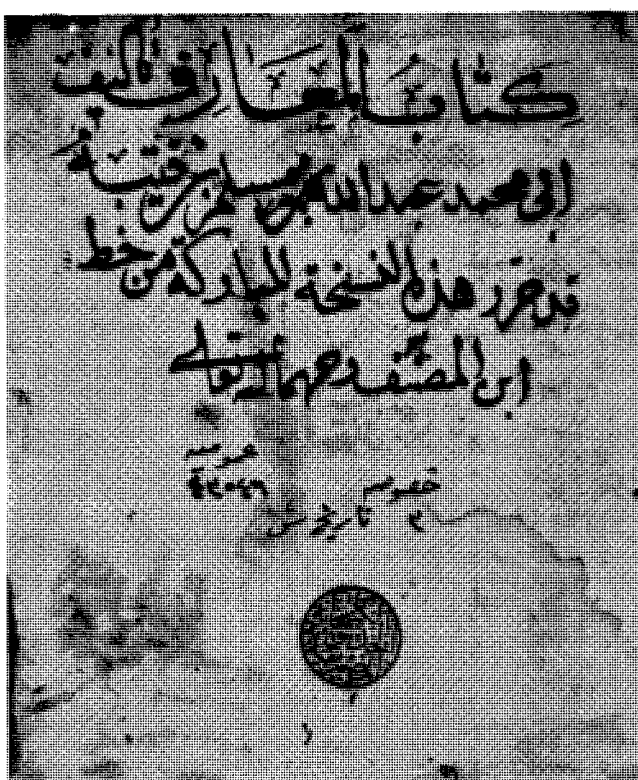
(١) انظر الصفحة الأخيرة من المخطوطة (د) .



اللوحة الأولى من المخطوطة « ط »



اللوحة الأولى من المخطوطة « هـ »



اللوحة الأولى من المخطوطة (ق)



اللوحة الأولى من المخطوطة « و»

*
* *

ولقد كان الفراغ من كتابة هذه النسخة سنة عشر وسبعمائة . وكانت قراءة هذا القارئ — الذى هو أحمد بن عمر — سنة (٧٤٣ هـ) كما قدمنا ، أى كان بين نسخها وقراءته لها نحو من ثلاثين عاما .

وعبارات التمليك التى على الصفحة الأولى التى بها العنوان هى بين سنتى (٩٩٩ هـ) وسنة (١٠٢٣ هـ) .

ترى هـل دُسَّت الصـفحة الأولى على الكتاب ، ويكاد خطها بمـا فيه من مغايرة قليلة يملى شيئا من هذا؟ ولكن تلك الزيادة التى زادها هـذا القارئ بخطه ، والتى تتصل بعنوان الكتاب ، تدفع هـذا وتجعل الصفحة الأولى من الكتاب ومن تلك المخطوطة منذ نشأتها .

إذن فالكتاب كان يحمل آسما آخر ، وأن هذا الاسم يرجع إلى أوائل القرن الثامن الهجرى . أى بعد وفاة المؤلف بنحو من أربعمائة سنة .

ولكنّا لا نملك دليلا على أنها سبقت تسمية « السهروردى » وإلا لتغير موقفنا من آسم الكتاب ، وكان لهذه التسمية الجديدة وضع آخر .

ونكاد نميـل إلى أن هذه التسمية جاءت متأخرة أى بعـد « السهروردى » وكانت تسمية « السهروردى » جديدة قد شاعت ، وتسمية آبن قتيبـة قديمة قد آختفت ، وكان بين التسميتين نوع من المشاركة ، فغلبت تسمية السهروردى .

وكانت النسخة لا تحمل عنوانا فحمَلَها الكاتب هذا العنوان من عنده ، ولم يفطن لمـا جاء فى ختامها من التسمية الصحيحة ، وكانت هذه التسمية الجديدة .

حول تحقيق الكتاب :

وقد طبع هذا الكتاب طبعتين الأولى فى « جوتنجن » سبتمبر سنة (١٨٥٠ م) بعناية المستشرق «إف وستنفيلد» والثانية فى القاهرة سنة (١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م) فرغ لقراءتها الأستاذ محمد الصاوى، وقد آنتهى إلى الثلث الأول، ثم مضى الأستاذ عثمان خليل يقرأ ما بقى .

وقد أشار الأستاذ وستنفيلد فى مقدمته الألمـانية القصيرة التى صدر بها الكتاب إلى النسخ التى رجع إليها ، فإذا أهمها ثلاث ، نسخة فى ڤينا ، وأخرى فى جوتا ، وثالثة فى ليدن .

واجتزأ وستنفيلد بثبت يقع فى نحـو الصفحتين جعله مع الفهرست البدائى، أثبت فيه الخلاف بين هـذه الأصول .

وعلى الرغم من الجهد المشكور الذى حمله الأستاذ وستنفيلد فى تحقيق الكتاب فإنه جاء ينقصه أشياء كثيرة .

هذا إلى أن الكتاب كانت لا تزال له أصول أخرى خطية، تزيد فيه وتصحح مواضع منه، لم يرجع إليها الأستاذ .

وقد رجع الأستاذان « الصاوى ، وعثمان خليل » إلى طبعة الأستاذ وستنفيلد معتمدين عليهـا ، وعلى نسـخة خطية فى دار الكتب المصرية . ذكراها دون أن يعرفا بها .

وما قدّما للكتاب بشىء ، وإن كان قد ذيلاه بفهرست يضم موضوعاته .

وتكاد تكون هـذه الطبعة صورة من طبعة وستنفيلد ، إلا فى القليـل الذى اعتمد فيه الأستاذان على اجتهادهما .

الأصول الخطية للكتاب :

وقد جهدت فى أن أجمع لهـذا الكتاب أصـوله الخطية ما وسعنى الجهـد ، لا أستثنى تلك المخطوطات التى اعتمد عليها وستنفيلد ، فإذا بين يدى منها :

١ : ب — خطية كتبها يوحنا بن يوسف بمدينة مرسيليا نقــلا عن أصل آخر لم يذكره إلا أنه قال : « المتضرع إلى من يقرأ هذا الكتاب ، و إلى من يطلع على ما يحو يه من الخطأ ألا ينسب إليه ما يجده من الغلط والتحريف ، لأن جميع ذلك موجود فى الأصــل المنقول . والظاهر أن كاتبــه جاهل قليل العــلم فالتزم محــرر الأحرف أن ينقل ممــا وجد و يثبت ممــا عاين ، لأنه ما وقع على نسخة ثانية »[(١)] .

فهو قد كفانا بكلمته هذه أن يدل على ما فى النسخة من خطأ وتحريف . غير أنه فاته أن يشير إلى شىء آخر له خطره ، دخل على النسخة فأضعف الثقة بها .

ففى النسخة نُقول من كتب أخرى مختلفة متأخرة ، كانت لا شك أولاً أشبه شىء بالتّحشية والتعليق ، فإذا هى على مر الأيام تكون فى متن الكتاب .

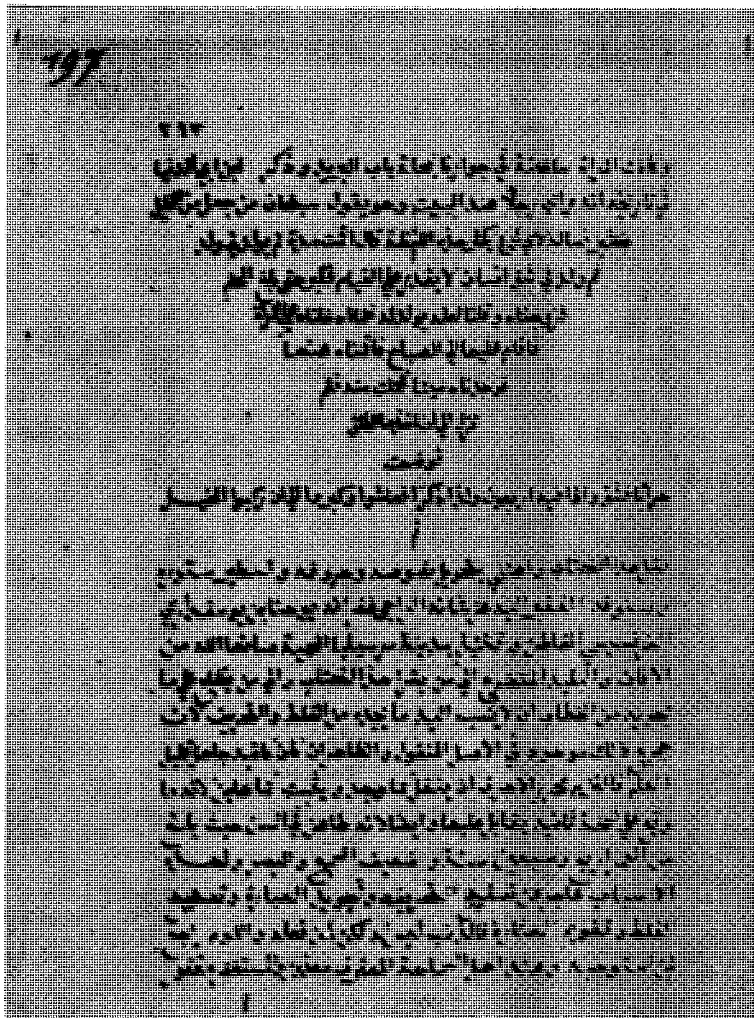
ففى الكتاب نُقول عن ابن الجوزى ، والنووى ، والبلوى ، وابن سيد الناس ، ونُقول عن غيره من المتأخرين أشرنا إليها فى أماكنها من الكتاب . دُست على الكتاب على أنهــا منه .

ولهذا كانت جناية هذه النسخة على كتاب « المعارف » كبيرة ، فقد دَست عليه هذا وغيره من عناوين مصطنعة ، وأدعية ، واستطرادات تحتاج إلى رويّة و بصر لتمييزها .

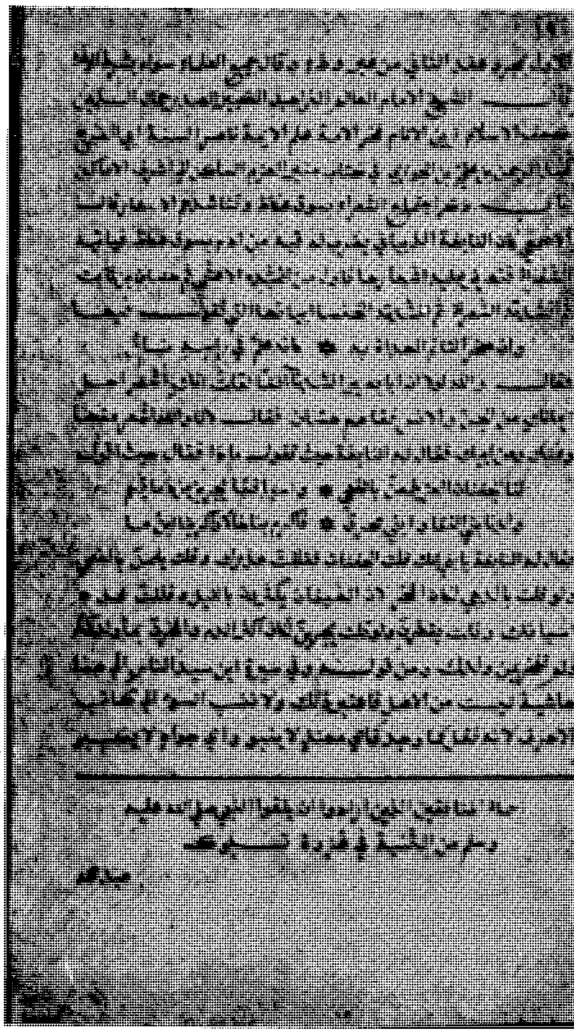
والمخطوطة متأخرة النسخ فقد كتبت فى سنة ١٢٦٥ هـ بخط بين النسخ والرقعة ، وهو واضح فى جملته ، وهى من مخطوطات المكتبة الأهلية بباريس ، ورقمها ١٤٦٥[(٢)]

---

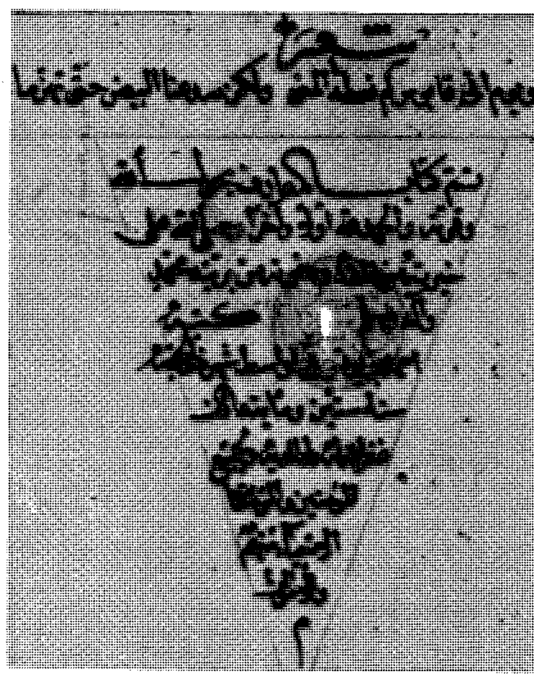
(١) ص ١٩٧ من المخطوطة ب .   (٢) انظر ص ١٩٠ من المخطوطة ب .



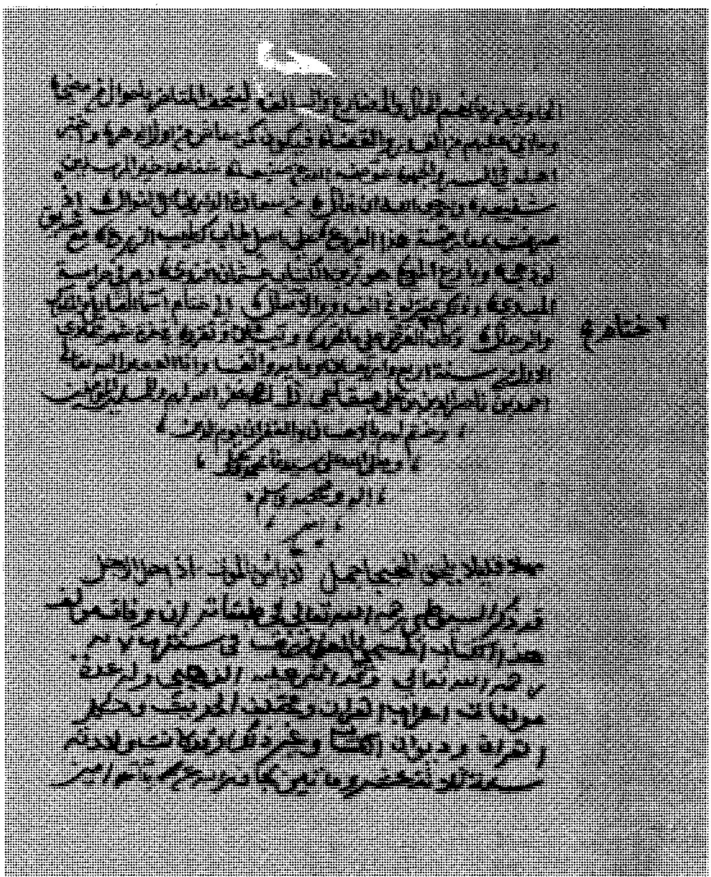
الصفحة ١٩٧ من المخطوطة « ب »



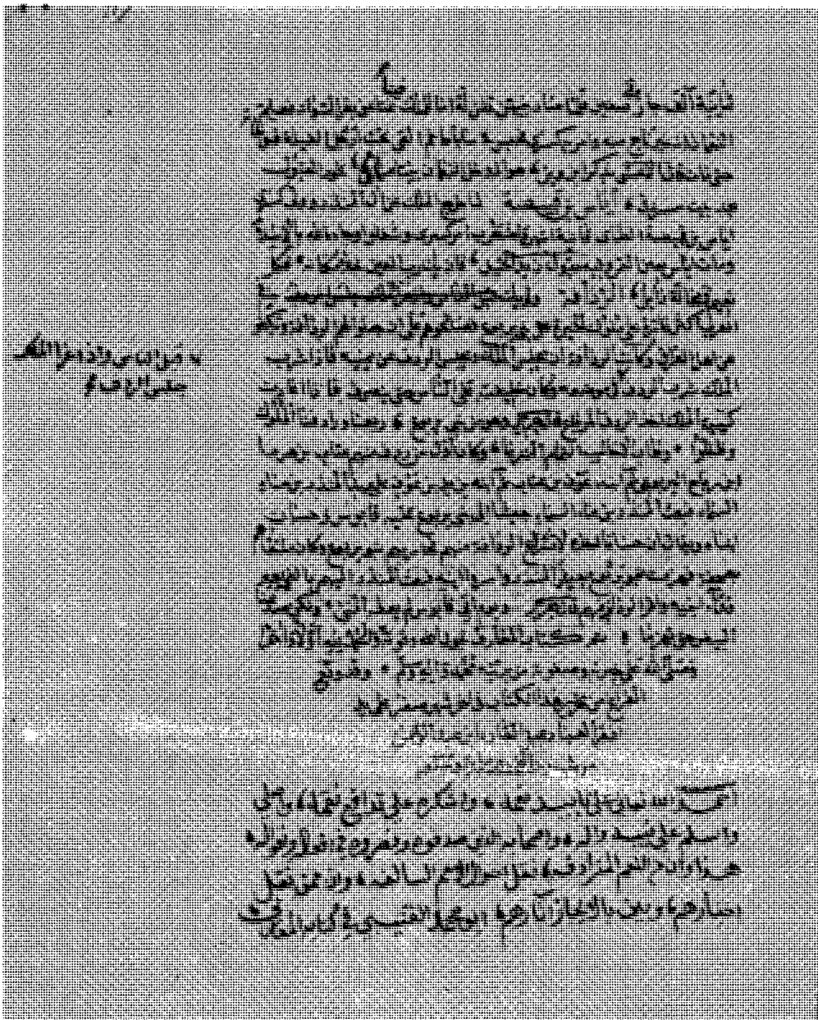
ص ١٩٠ — من المخطوطة « ب »



اللوحة الأخيرة من المخطوطة « ق »



اللوحة الأخيرة من المخطوطة « و »



اللوحة الأخيرة من المخطوطة « هـ »

٢ : ط — وهى من مخطوطات المكتبة الأهلية بباريس، رقمها (٤٨٣٣) . وهى نسـخة رديئة الخـط ، مليئة بالحواشي والتعليقات ، مهملة التـاريخ ، مجهولة الكاتب .

وهى من غير شك الأصل الذى نقل منه «يوحنا بن يوسف» كاتب النسخة الأولى التى رمزنا إليها بالحرف « ب » .

فهـذه أصل والنسخة الأولى فرع . ليس بينهما من فروق جوهرية ، ولكنا نجد هنا كلمات غمضت على الناسخ، فلم يستطع قراءتها ووجهها كما رأى .

ومن هنا جاءت الخلافات بين النسختين (١) .

٣ : ق — وهى إحدى مخطوطتى دار الكتب المصرية ، ورقمها ٣ تاريخ ، من وقف المرحوم محمد بن محمود بن التلاميذ الشنقيطى .

مكتوبة بالخـط النسخ القريب من التجويد ، واضحـة الحروف ، ناطقـة الكلمات ، تكاد تكون أصح أصـل وأسلمه . على هامشها بعض التصحيحات ، ولعلها من تصحيحات الواقف ، وبأولهـا هذه العبارة : «وقد حرر هذه النسخة المباركة من خط ابن المصنف رحمهما الله تعالى (٢) » .

وبآخرها ما يفيد أن نسخها تم سنة (١١٦٠) على يد كاتبها أحمد بن يونس (٣) .

٤ : ل — وهى من مخطوطات المتحف البريطانى بلندن . وهى النسخة التى عرفناها من قبل، على أنها تحمل عنوانا مخالفا لإجماع النسخ .

وقد أشرنا إلى أنها قديمة خطها لا بأس به . وهى تحمل فى حواشيها كثيرا من الحواشى التى جاءت فى : ب، ط (٤) .

---

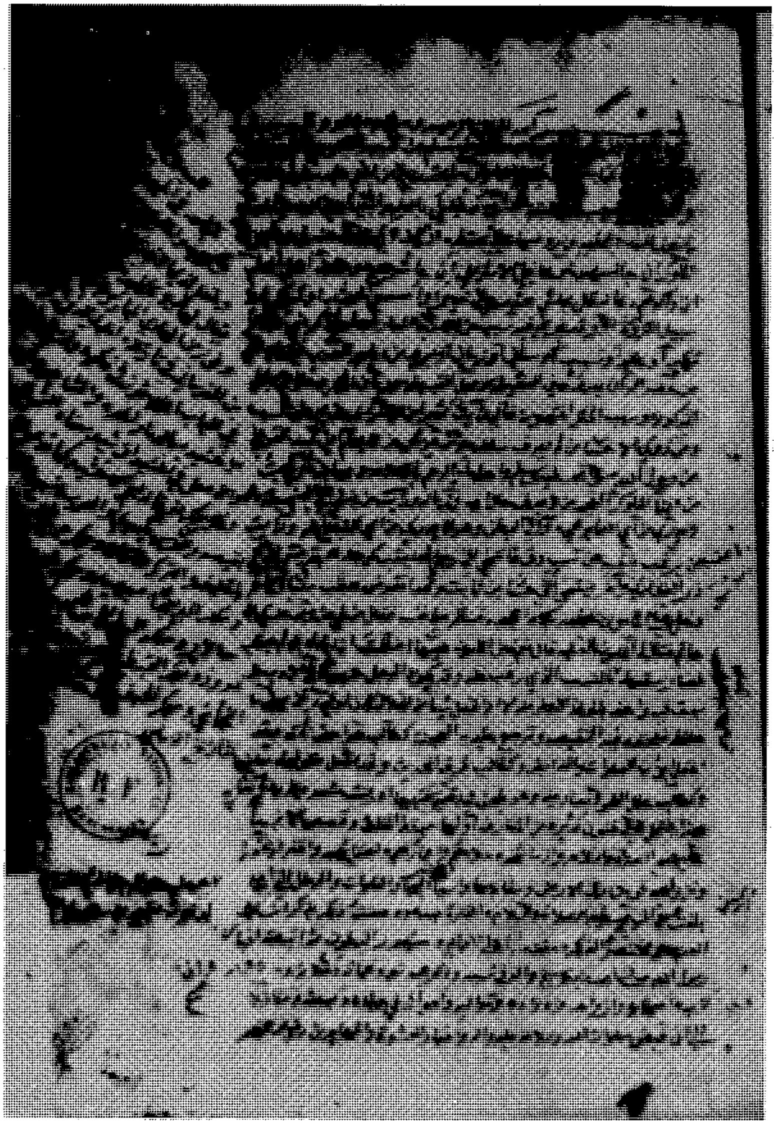
(١) انظر اللوحتين التاليتين .

(٢) الصفحة الأولى من المخطوطة « ق » .

(٣) الصفحة الأخيرة من المخطوطة « ق » .

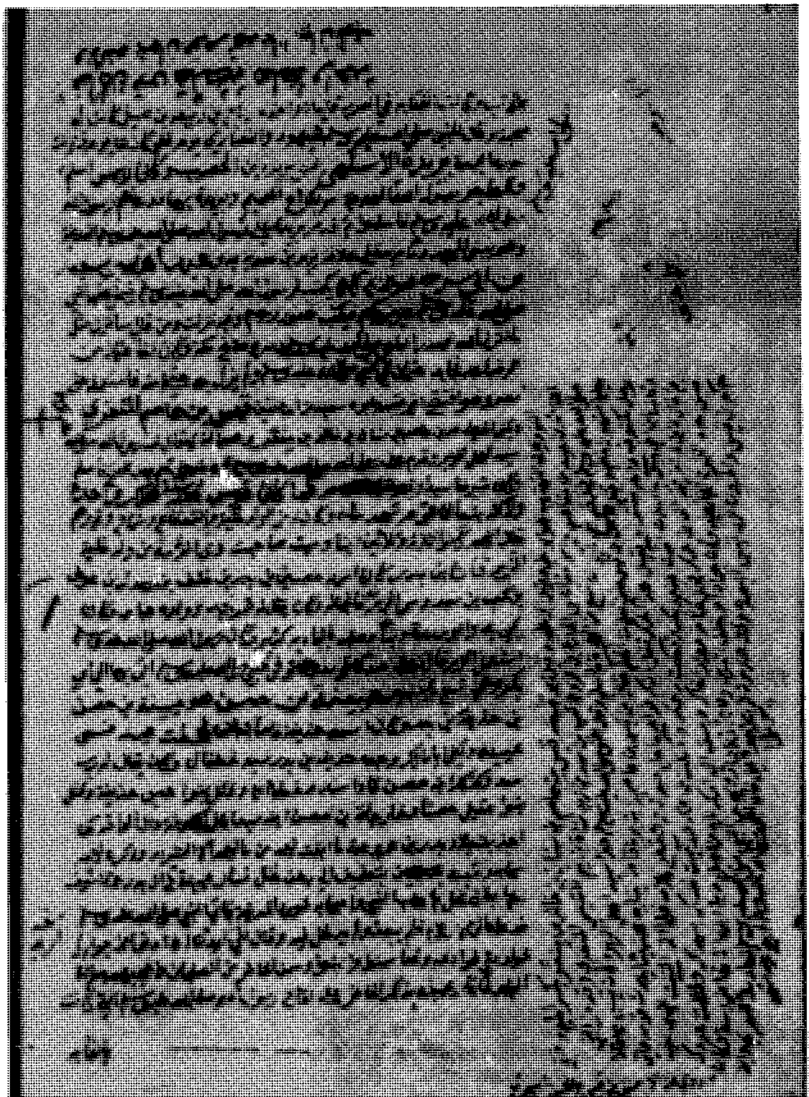
(٤) صفحة من المخطوطة « ط » .

وهى فى يقينى عن أصل مخالف ، يقرب من الأصل الذى أخذت عنه «ب» ، «ط» فى شىء ، كما يقرب من الأصل الذى أخذت عنه «ق» ، «م» فى شىء آخر .

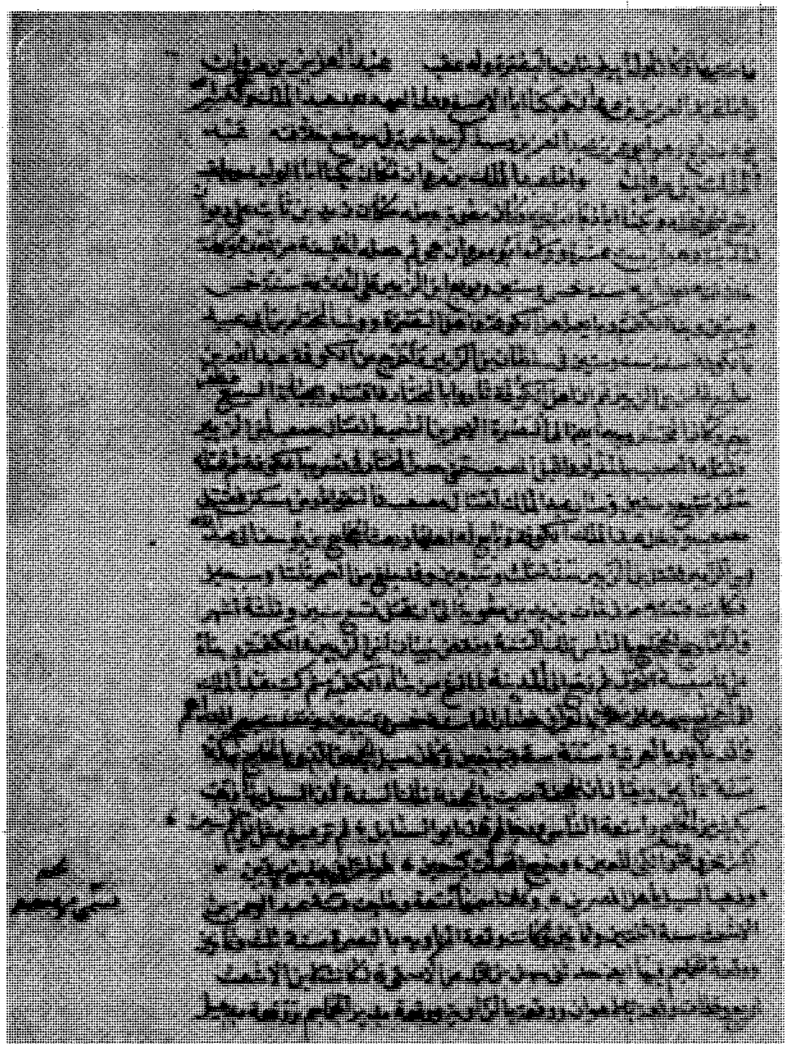


صفحة أولى من المخطوطة « ط »

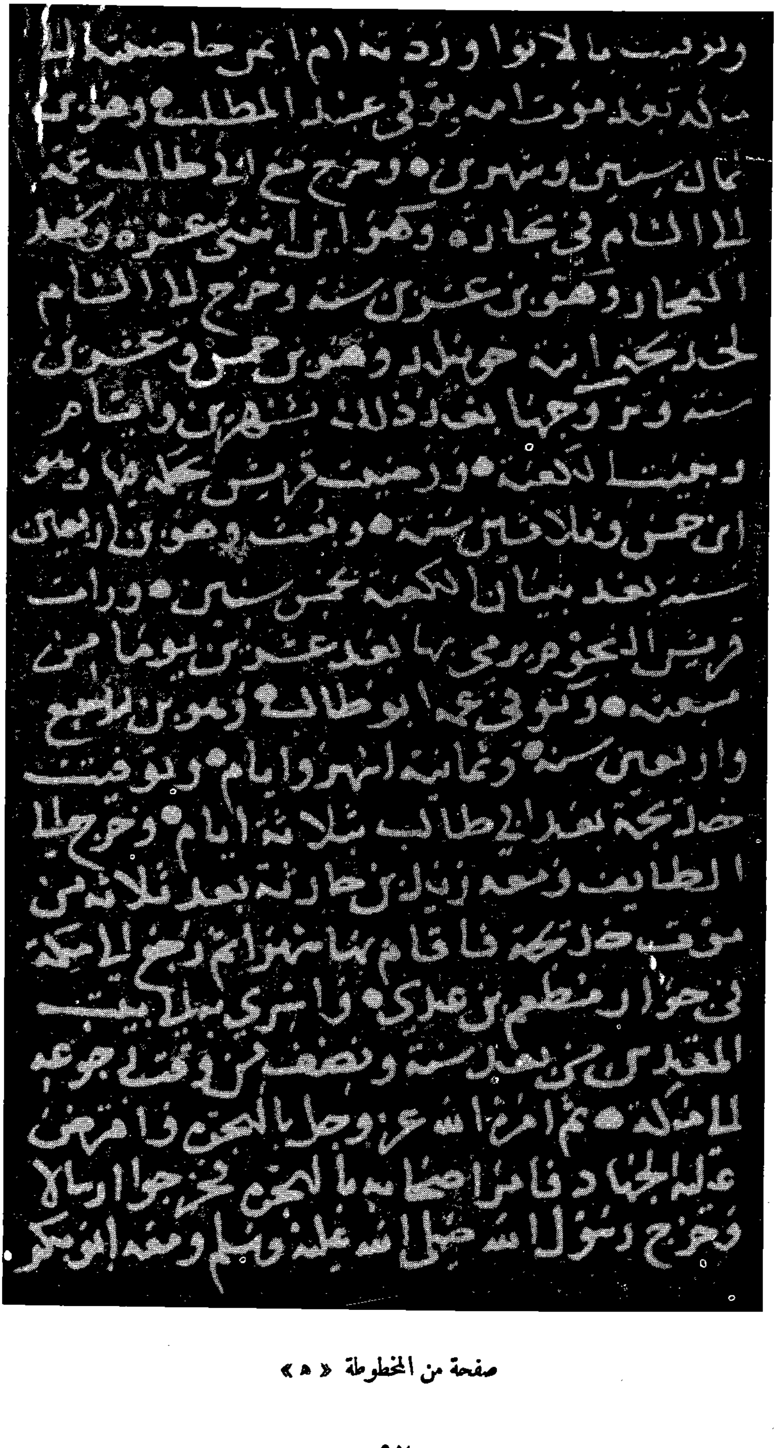
فهى مع الأولى تتفق مع الأصلين فى بعض الحواشي المنقولة ومع الثانية تتفق فى الكلمات وتوجيهها .



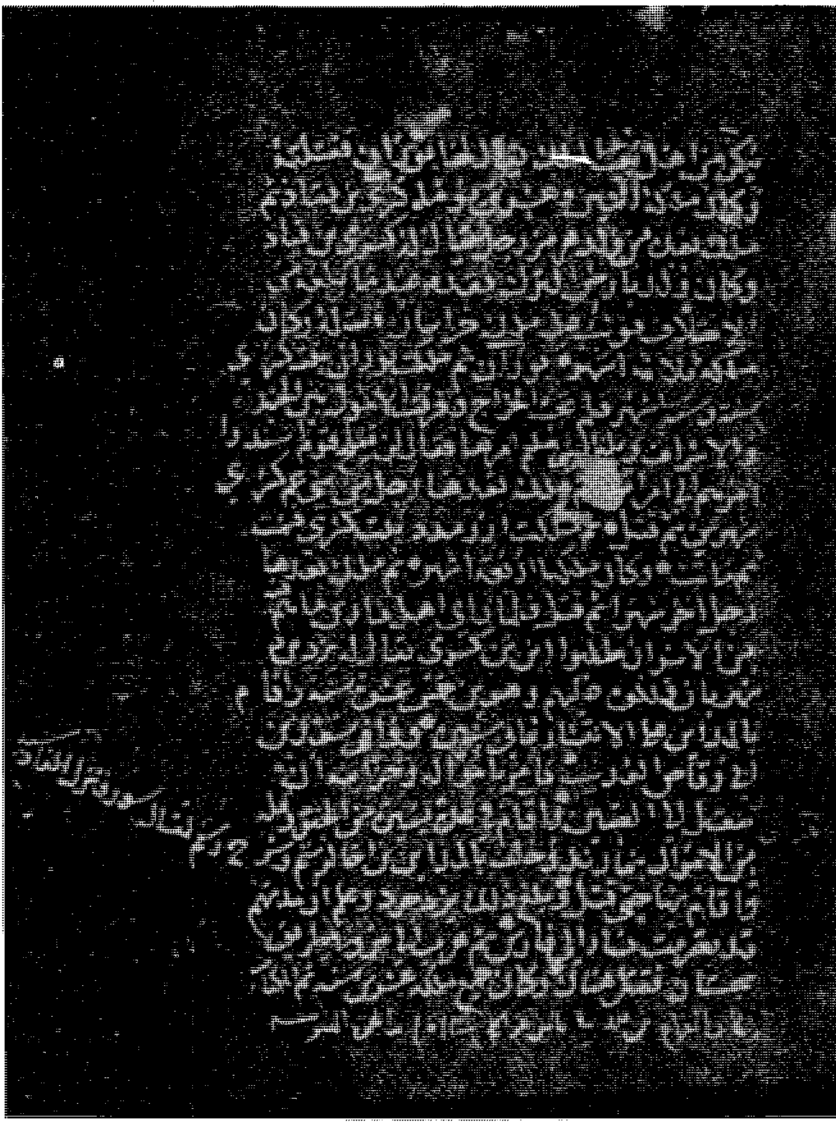
صفحة من المخطوطة « ط »



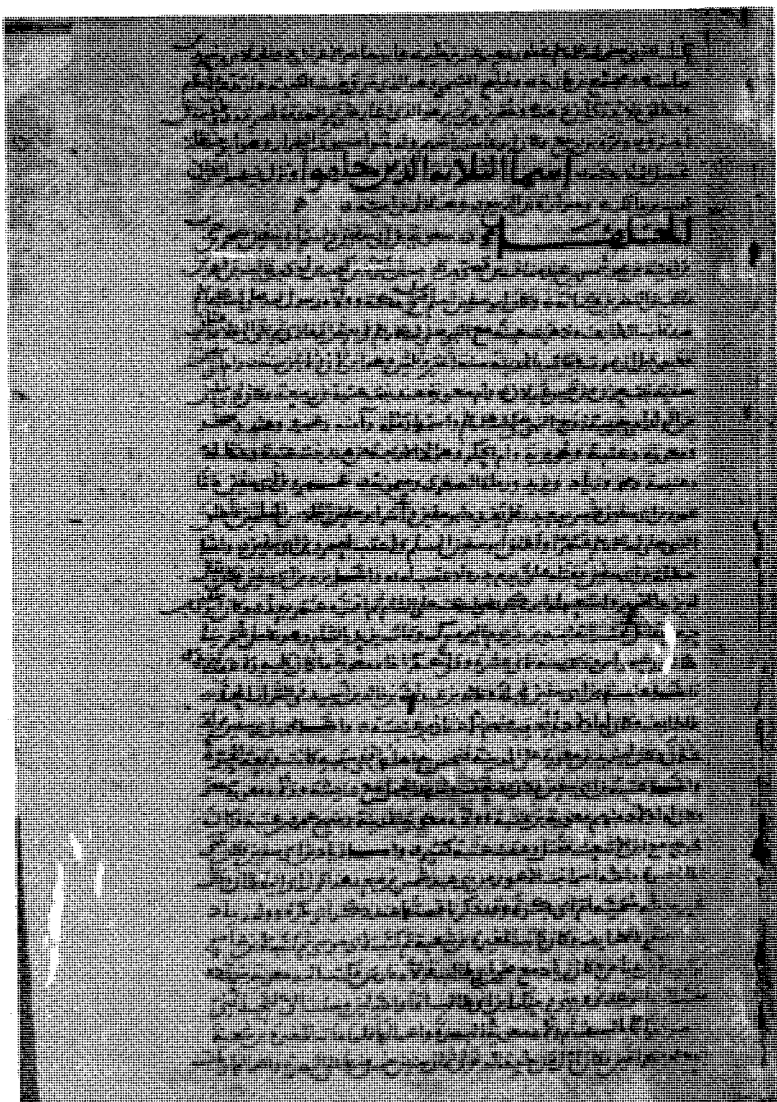
صفحة من المخطوطة « ب »


وتوفيت ما لا بوا وردته ام ايمن حاضنته الى
مكة بعد موت امه توفي عبد المطلب وهو ابن
ثمان سنين وشهرين • وخرج مع ابي طالب عمه
الى الشام في تجارة وهو ابن اثنتي عشرة وشهد
الفجار وهو ابن عشرين سنة وخرج الى الشام
لخديجة ابنة خويلد وهو ابن خمس وعشرين
سنة وتزوجها بعد ذلك بشهرين وايام
وبنيانا الكعبة • ورضيت قريش بحكمه فيها وهو
ابن خمس وثلاثين سنة • وبعث وهو ابن اربعين
سنة بعد بنيان الكعبة بخمس سنين • ورات
قريش النجوم يرمى بها بعد عشرين يوما من
مبعثه • وتوفي عمه ابو طالب وهو ابن تسع
واربعين سنة وثمانية اشهر وايام • وتوفيت
خديجة بعد ابي طالب بثلاثة ايام • وخرج الى
الطايف ومعه زيد بن حارثة بعد ثلاثة من
موت خديجة فاقام بها شهرا ثم رجع الى مكة
في جوار مطعم بن عدي • واسري به الى بيت
المقدس من بعد سنة ونصف من وقت رجوعه
الى مكة • ثم امره الله عز وجل بالهجرة فافترض
عليه الجهاد فامر اصحابه بالهجرة فخرجوا ارسالا
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر

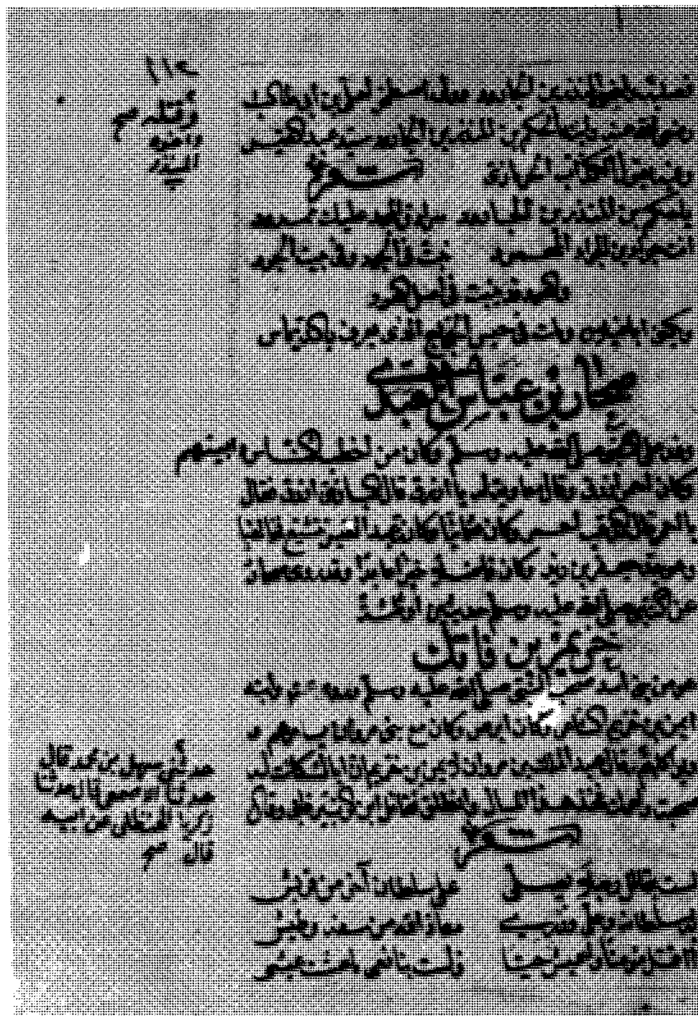
صفحة من المخطوطة « ه »



صفحة من المخطوطة « م »



صفحة من المخطوطة « آ »



صفحة من المخطوطة « ق »

٥ : م — وهى النسخة الثانية لدار الكتب المصرية، ورقمها ٤٢٩ تاريخ. وكانت فى الأصل من وقف المدرسة الصديقية بحلب، وهى نسخة سقيمة الخط، بها طمس كثير، غير منتظمة الورق، كتبت فى غير اتساق ولا عناية.

وهى على الرغم من هذا سليمة خالية من الحشو.

وأكاد أعد هذه النسخة فرع من نسخة الشنقيطى، فالاتفاق بينهما واضح، ولافرق بينهما إلا فيما تخالف فيه نسخة نسخة وهى تنقل عنها.

وهذه النسخة تحمل فى صفحتها الأولى عبارة منقولة عن كتاب «جلاء العينين فى محاكمة الأحمدين» يعنى: آبن تيمية وآبن حجر. لمؤلفه الآلوسى نعمان بن محمود بن عبدالله (١٣١٧ هـ) مما يدل على تأخر كتابتها عن سابقتها[١].

٦ : هـ — وهى نسخة ليدن، وهى واحدة من النسخ التى اعتمد عليها وستنفيلد، كتبت فى أوائل القرن الحادى عشر الهجرى، بقلم عبد القادر بن عبد الرحمن، وكان الفراغ منها فى آخر شهر صفر من شهور سنة ١١٠٧ هـ[٢].

٧ : و — نسخة فينا، وهى واحدة من النسخ التى اعتمد عليها وستنفيلد أيضا. وهذه النسخة والسابقة تقربان كثيرا من النسختين القاهريتين مما يدل على أنهما جميعا من أصل واحد[٣].

وإليك شجرة تقريبية تبين صلة هذه النسخ بعضها ببعض[٤].

(١) اللوحة الأولى واللوحة الأخيرة من المخطوطة « م ».

(٢) الصفحتان الأولى والأخيرة من المخطوطة « هـ ».

(٣) الصفحتان الأولى والأخيرة من المخطوطة « و »

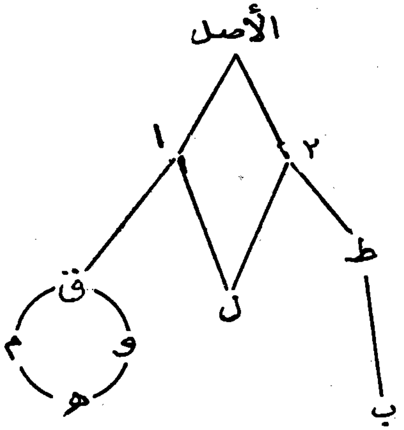
(٤) انظر شجرة أصول الكتاب.



صفحة من المخطوطة « م »



صفحة أخرى من المخطوطة « ط »



وبعـــد :

فلقد كان الخلاف بين هذه النسخ بعيدًا يحتاج إلى الرجوع إليها جملة مع كل كلمة — ولقد كانت النسخة المصرية الشنقيطية (ق) هى أقربها دائما إلى الصواب — كما قدمنا — تجد ذلك فى إشارات كثيرة، كما كانت أبعدها من الحشو، وتخففا من الزيادات والعناوين الدخيلة المضطربة .

وما نشك أن الكتاب تعرّض لكثير من الفساد، نسخه الخطية ونسخه المطبوعة، وكان استخلاص هذا منه واستصفاؤه وتحريره شيئا يحتاج إلى الرجوع إلى الأصول، ثم إلى مراجع كثيرة .

وكان لابد من شرح وتعليق يجلو كثيرا من مبهمات الكتاب ومشكلاته، كما كان أن لابد من تعريف برجال السند لنستوثق من آتصال السند وأنه غير منقطع، وأنه لاتدليس فيه .

كما كان التعريف بغير رجال السند واجبا للتثبت منهم، ولتخليص أسمائهم من تحريف وقع فيها .

وقد خلصت الكتاب من تلك الزيادات ، التى قطعت بأنها دخيلة، وجعلتها فى هامشه . وأما غيرها التى لم أقطع فيها برأى ، وكانت تحتمل رأيين ، فتركتها كما هى ، مع الإشارة إلى ذلك .

ولم أهمل جهـد « وستنفيلد» كما لم أهمل جهـد الأستاذين : الصاوى وعثمان خليل . فلم يفتنى الاستئناس بالكتابين المطبوعين .

وقد جعلت نسخة وستنفيلد أصلا من الأصول رمزت إلى صفحاتها، وأغفلت الإشارة إلى الخلافات التى فيها، إذ كانت بين يدى الخطيات التى اعتمد عليها .

حتى إذا ما انتهيت من الكتاب معارضة ومراجعة وتحقيقا وتصويبا، توجت هذا كله بفهرست جامع شامل ينتظم :

١ — فهـرس الموضوعات
٢ — « رجال السند
٣ — « الشـعراء
٤ — « الأعـلام
٥ — « القبـائل
٦ — « الأماكن
٧ — « الأيـام
٨ — فهـرس القـوافى
٩ — « أنصاف الأبيات
١٠ — « الأمثـال
١١ — « الآيات القرآنية
١٢ — « الكتب

* * *

وإنى لأرجو بعد هذا كله أن أكون قد وفقت إلى ما أرجو من إخراج كتاب المعارف فى صورة سليمة صحيحة ما

دكتور

ثروت عكاشه

تعقيب

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد، فقد كانت لى ثَمّة كلمة تتصل بالكتاب وصاحبه، جاء فى المقدّمة منها شىء، وجاء فيها شىء لم تضمه المقـدّمة، وهى بهذا الذى جاء وذاك الذى لم يجئ سيقت مساقا آخر يخالف هذا المساق الذى قدّمتُ به للكتاب؛ فلقد كانت تلك دراسة تاريخية عامة، وهذه دراسة تاريخية موضوعية؛ تتناول الأولى البيئة فى كل مظاهرها الثقافية، وتتناول هذه البيئة فى مظهر واحد من تلك المظاهر، وهو الذى يتصل بنهج كتاب « المعارف » وأمثاله .

وعلى حين لم تتناول الأولى جهد « ابن قتيبة » فى مؤلفه هذا « المعـارف » فى شىء من التفصيل الناقد، تناولت هـذه عمل « ابن قتيبة » فى هذا التفصيل الناقد؛ ثم لقد خلت الأولى من التعريف بمخطوطات حصلت عليها متأخرا، وضمّت هذه التعريف بتلك المخطوطات .

وهى بعد هذا كلمة قدّمتُ بها لعملى كله بين يدى اللجنـة التى ناقشتنى رسالة الدكتوراه، أجملتْ وأضافت، ولخصت وأسهبت .

وقد رأيتها تُتم عملا فلم أشأ أن أحرم هذا العمل من ضمها إليه، ورأيتها تضيف شيئا، فلم أشأ أن أحبسه عن القارئ ليشاركنى الرأى فيه .

وأنا على هذا لم أثبت ما كان منها تكرارا صريحـا، واجتزأت بمـا كان منها جديدًا أو يُمَهّـد لجـديد .

ومن الوفاء للعمل أن نطالع به الناس كاملا يستوعب كل ما كان حوله ؛ ماسبقه وما عاصره، وما جاء فى إثر هذا وذاك ، فكل عمل قطعة من التاريخ ، وما أحوج التاريخ أن تجتمع له تلك القطع كاملة غير منقوصة .

و إليك هذه الكلمة مع هذا الإيجاز وتلك الإضافة .

(١)

إن حاجة المكتبة العربيــة إلى الكتب الجامعة لألوان المعرفة، أشــبه شىء بدوائر المعارف الميسّرة، لا تزال حاجة قائمة .

وقد أحسّ السلف هذا فكان لهم فى هذا الميدان جهد موزّع جاء فى الأكثر على صور جزئية، وفى القليل على صور دوائر معارف .

فكان لهم من تلك الصور الخاصة كتبهم التى أفردوها للرجالات :

ا — كان لهم فى الشعر :

(١) طبقات الشعراء لمحمد بن سلام (٢٣٢ ﻫ) .

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة . صاحب كتابنا هذا (٢٧٦ ﻫ) .

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز (٢٩٦ ﻫ) .

(٤) معجم الشعراء للمرزبانى (٣٨٤ ﻫ) .

ب — وكان لهم كتب جمعوا فيها الأدباء عامة مثل :

(١) يتيمة الدهر للثعالبى (٤٢٩ ﻫ) .

(٢) دمية القصر للباخرزى (٤٦٧ ﻫ) .

(٣) نزهة الألبا بطبقات الأدبا (٥٥٧ ﻫ) .

(٤) خريدة القصر للعماد الأصفهانى (٥٩٧ هـ) .

(٥) إرشاد الأريب لياقوت (٦٢٦ هـ) .

حـ — وكتبهم التى خصوها بالأعيان يجمعون فيها الأدباء والشعراء وغيرهم ممن كان لهم شهرة وصيت، مثل :

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان (٦٨١ هـ) .

(٢) فوات الوفيات لابن شاكر (٧٢٤ هـ) .

(٣) أعيان العصر للصفدى (٧٦٤ هـ) .

د — وكتبهم التى أفردوها لطبقات الصحابة مثل :

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٣٠ هـ) .

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر (٤٦٣ هـ) .

(٣) أسد الغابة لابن الأثير (٦٣٠ هـ) .

(٤) الإصابة لابن حجر (٨٥٢ هـ) .

هـ — وكتبهم التى ضمنوها تراجم القراء والفقهاء مثل :

(١) طبقات الفقهاء للشيرازى (٤٧٦ هـ) .

(٢) طبقات القراء المشهورين للذهبي (٧٤٨ هـ) .

(٣) طبقات القراء لابن الجزرى (٨٣٣ هـ) .

و — وكتبهم التى خصوها بطبقات المفسرين مثل :

(١) طبقات المفسرين للسيوطى (٩١١ هـ) .

(٢) طبقات المفسرين للداودى (حوالى ٩٤٥ هـ) .

ز — وكتبهم التى خصوها بطبقات الأولياء، مثل :

(١) حلية الأولياء لأبى نعيم الأصبهانى (٤٣٠ هـ) .

(٢) الأنوار القدسية للشرنوبى (٩٩٤ هـ) .

ح — وكتبهم التى خصوها بالنحاة، مثل :

(١) إنباه الرواة للقفطى (٦٤٦ هـ) .

(٢) بغية الوعاة للسيوطى (٩١١ هـ) .

ط — وكتبهم التى أفردوها للحكماء والأطباء، مثل :

(١) إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى (٦٤٦ هـ) .

(٢) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لأبن أبى أصيبعة (٦٦٨ هـ) .

ى — ثم كتبهم فى طبقات رجال المذاهب، مثل :

(١) طبقات المالكية للقاضى عياض (٥٤٤ هـ) .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى لعبد الوهاب السبكى (٧٧١ هـ) .

(٣) الجواهر المضية فى طبقات الحنفية لأبن أبى الوفا القرشى (٧٧٥ هـ) .

(٤) طبقات الحنابلة لأبن رجب الحنبلى (٧٩٥ هـ) .

وعلى هذا النحو فى تلك الصور الخاصة ألفوا ؛ ما تكاد تتميز عندهم طبقة ويجمعها طابع واحد أو قريب من أن يكون طابعا واحدا، حتى يخصوها بكتاب أو أكثر .

ولكنهم أحسوا وهم يصدرون فى تلك الناحية التى وفوها الوفاء كله أن عليهم واجبا آخر لا يقل عن هذا شأنا ، أحسوه فى أنفسهم وأحسوه فى أنفس الناس

من حولهم ، وأنهم لا بدّ لهم وللنـاس من كتب جامعة تجمع تلك المعارف المتفرقة المبعثرة ، فـأخـذوا يجمعون ما يستطيعون جمعـه فى كتيبات تمليها عليهم حاجاتهم التى أحسوها ، وموضوعاتهم التى تعنيهم وتعنى البيئة من حولهم .

فكان لهم فى هذا الميدان العام :

(١) المحـبر لابن حبيب (٢٤٥ هـ) .

(٢) ـ المعـارف ـ وهو كتابنا هـذا .

(٣) لطائف المعارف للثعالبي (٣٨٣ هـ) .

(٤) مفاتيح العلوم للخوارزمى (٣٨٣ هـ) .

(٥) ألف بـاء للبـلوى (٦٠٥ هـ) .

(٦) التعـريفات للجـرجانى (٨١٦ هـ) .

ولكن جهدهم فى هذا الميدان العام كان لا شك جهدا مقصوراً، لم يجمع ألوان المعرفة كلها، ولم يستقم ليكون أشبه بدوائر المعارف بمعناها الصحيح؛ إلا أنه على الرغم من هذا كان جهدا سدّ فراغا وأفاد شيئا ما .

وقد أحس الخلف بنقص هذا المجهود، وحاولوا أن يستدركوا ما فات السلف، فتهيؤوا لهـذا العمل يحاولون أن يكملوا النقص على قدر ما يسـتطيعون، فكان لهم فى ذلك كتب ، مثل :

(١) المفردات لابن البيطار (٦٤٦ هـ) .

(٢) كشاف اصطلاح الفنون للتهانوى (القرن الثانى عشر الهجرى) .

وجاء فى إثر هؤلاء رجال من المدرسة الحديثة يريدون أن يسدّوا الفراغ كله، بجدُّوا فى إخراج دوائر معارف جامعة، ولكنه كان مجهودا فرديا وكان العبء عليهم كثيرا، فوفقوا بعض الشيء، وكان لنا من هذه الدوائر :

(١) دائرة المعارف للبستانى (القرن الثانى عشر) .

(٢) « « لوجدى (القرن الثالث عشر) .

* * *

وهكذا نرى أن المكتبة العربية كانت غنية بتلك الكتب الخاصة ، فقيرة من تلك الكتب العامة ، على الرغم من قيمة تلك الكتب العامة ونفعها لأبناء الأجيال المتعاقبة التى عاشت عليها .

ومن سوء حظ المكتبة العربية أن هذه الكتب العامة لم يكتب لبعضها الظهور إلا فى وقت متأخر .

فقد طبع كتاب « المحبر » لابن حبيب سنة ١٩٤٢م، بعناية مستشرقة ألمانية هى الآنسة « الزا لشتن اشتيتر » .

ومن قبله طبع كتاب « المعارف » بعناية المستشرق وستنفلد سنة ١٨٥٠ م ، كذلك طبع الكتاب « التعريفات » للجرجانى فى باريس سنة ١٨٤٥ م ، كما طبع كتاب « مفاتيح العلوم » للخوارزمى فى ليدن سنة ١٨٩٥ م .

وكانت هذه الطبعات الأوربية من الندرة بمكان فى الأسواق الشرقية ، مما لفت بعض الناشرين إلى إعادة طبع بعضها، فطبع كتاب « المعارف » فى مصر كما طبع كتاب « التعريفات » « وكتاب مفاتيح العلوم » ، ولكنها طبعات للأسف لا تعين قارئا على القراءة فيها .

* * *

وكان كتابا المحبر والمعارف عندى هما أغنى هــذه الكتب بالمواد . وكان اولهما حديث عهد بالطبع، وكان ثانيهما قد مضى على إخراجه ما يُربى على قرن . وكان أن توفّرت لدى منه نسخ خطية أخرى فاتت الزميل الكريم الراحل «وستنفلد» الذى عنّى نفسه بإخراجه . وكانت هذه النسخ تستدرك كثيرا، وتشير إلى خلاف كثير .

من أجل هذا كله خصصت هذا الكتاب — أعنى كتاب «المعارف» — بجهدى ، وفرغت أجمع له أصوله الخطية ماوسعنى الجهد، لأخرجه فى صورة جلية واضحة .

(٢)

وفى ظل ذلك الإحساس العـام الذى أشرت إليه اتجه « ابن قتيبة » لتأليف هذا الكتاب يريد أن يجمـع للناس تلك المعارف المختلفة التى يعنيهم أن يعرفوها ، و يعنيهم أن يجدوها مجموعة فى كتاب واحد .

وما نأخذ على « ابن قتيبة » أنه جمع شيئا وأهمل شيئا ، بل علينا أن نناقشه؛ ناظرين إلى حاجة العصر الذى كان يعيش فيه .

فحاجة العصر الذى كان يعيش فيه « ابن قتيبة » كانت تملى عليه أن يكون بين الناس مثلُ هــذا الكتاب الجامع ، الذى يمكّن الكاتب من أن تتــوفر له حصيلة علمية تاريخية أدبية، مجموعة مبوّبة .

و إن الشعور الذى أملى على «ابن قتيبة» أن يؤلف كتابه «أدب الكاتب» ليبصّر الكاتب بمـا هو فى حاجة إليه وما يجب عليه، هو الشعور الذى أملى على « ابن قتيبة » أن يؤلف كتابه « المعـارف » ليجمع بين يدى الكاتب ما يحتاجه من معـرفة ، بعد ما جمع له ما يحتاج إليه من تقويم اللسان، و بعد أن بصّره بشئون الكتابة .

(١) فلا بدّ للكاتب من أن يلمّ بالتاريخ إلمامةً سريعة .

(٢) ولا بدّ للكاتب من أن يلم بالأنساب العامة مختصرة، حتى لا يفوته من ذلك شيء، وحتى لا يخلط بين قبيلة وقبيلة .

(٣) ولا بدّ للكاتب من أن يعرفَ جملة من مشهوري الأدباء والعلماء .

(٤) ولا بدّ للكاتب من أن يعرف أخبارا منسقة يجتمع أصحابها تحت نسق، تكون أشبه شيء بالطُّرف بين يديه .

(٥) ولا بدّ للكاتب من أن يعرف أخبار الأمم التى اتصلت بالعرب حتى لا يجهل شيئا من ذلك .

وفى هذه العجالة المختصرة قدم «ابن قتيبة» كتابه « المعارف » يريد أن يبصِّر الناس بشيء لا يسعهم جهله .

(٣)

ولكنا لانشك فى أن «ابن قتيبة» كان فى كتابه هذا عجلا كل العجلة ؛ لهذا جاء هذا الكتاب مختصرا . كما أعجلته هـذه العجلة عن أن يتابث قليلا مع ما يروى ، إلا حين يشرح كلمة لغوية أو يضيف شيئا بهذا الشرح اللغوى .

ا — فهو حين عرض للذبيح مثلا (ص ٣٧) :

(١) لم يكلف نفسه عناء الاستقصاء فى مسألة كهذه ، حولها كلام كثير ومعها رأى لجمهرة المسلمين مدلل عليه مقرب بالبراهين، وهى مسألة لا يُكتفى فيها بسوق النتيجة على هـذا الوجه من الاقتصار الذى انتهجه « ابن قتيبة » .

لم يناقش الخلاف بين التوراة والقرآن ولم يرجح أحد الرأيين على الآخر، وإنما عرض الرأى مع الخلاف فيه، دون أن يقول شيئا !

(٢) ثم هو قد أورد ما أورده غيرُه، نقلا عن تلك الإسرائيليات بما فيها من تخليط .

(٣) وعذر « ابن قتيبة » عذر غيره من المؤرخين الذين اعتمدوا النسخة العربية من التوراة دون الرجوع إلى النسخ الأخرى منها المترجمة إلى العبرية واليونانية مثلا (١) .

ب — ثم هو حين عرض لآدم (ص ١٤ — ١٨) :

(١) تورط فى ذكر المكان الذى نزل عليه .

(٢) ووصفه بأنه كان أمرد وإنما نبتت اللحى لأبنائه من بعده .

حـ — ثم هو حين عرض للحديث عن الأنبياء :

(١) لم يتخلص من تلك الصفات الجسمية التى وصفهم بها من غير مستند .

(٢) وأورد الكلام عن أعمارهم، والأدلة العقلية كلها تردُّ ما أورد .

ولكنا إن عذرنا « ابن قتيبة » وعذرنا معه المؤرخين على هذا، فلا نعذرهم على استماعهم للرواة ينقلون عنهم كل شىء من غير تحرٍّ؛ همُّهم أن يجمعوا، وهمُّهم أن يشوّقوا، وهمُّهم ألا يقال عنهم إنهم جهلوا شيئا أو سكتوا عن شىء .

غير أنا نعتقد أن هذا الذى كتبه « ابن قتيبة » نقلا عن غيره كان شيئا لا بدّ منه، فلقد كان هذا غاية ما وصل إليه العلم حينئذاك، حين لم يصل إلى ما وصل إليه اليوم .

(١) انظر كتاب إظهار الحق للشيخ رحمت الله أفندى .

وكان من الخير للناس أن يعيشوا على شيء فيه الحق والباطل من أن يعيشوا على لا شيء .

وإذا جاوزنا هذا القدر الغامض ، الذى كان من الصعب على « ابن قتيبة » أن يسوق فيه غير ما ساق ، نجد « ابن قتيبة » قد عرض لأشياء أخرى كانت كل وسائلها بين يديه ولا عذر له فيها إن قصر .

وإنا إن وقفنا مع « ابن قتيبة » فى هذا الذى أورده من ذلك ، ومعه مراجعه ، لا نأخذ عليه إلا أنه كان مختصرا اختصارا يكاد يكون معيبا :

(١) فنجده حين أورد بابه فى الأنساب لم يورد من ذلك إلا ما يُعد رؤوسا لموضوعات .

(٢) ونجده لم يذكر تحت رؤوس الموضوعات هذه إلا القليل المشهور .

وكان هذا نهجه بعد ذلك فيما أورد من أبواب أخرى ، يلجأ إلى هذا الاختصار الشديد الذى لا يفيد كثيرا .

ولعل «ابن قتيبة» قصد إلى هذا قصدا ، وألزم نفسه بأن يضع معجما — إن صح هذا التعبير — فى «المعارف» . فهو يقول فى مقدّمته :

«وقلّ مجلس عُقد على خبرة ، أو أُسس نرشد ، أو سلك فى سبيل المروءة ، إلا وقد يجرى فيه سبب من أسباب المعارف . . : إما ذكر نبى أو ذكر ملك أو عالم أو نسب أو سلف أو زمان أو يوم من أيام العرب ، فيحتاج من حضر إلى أن يعرف عين القصد » .

وهكذا يكشف عما قصد إليه « ابن قتيبة » ، فلقد قصد إلى أن يسوق رؤوس الموضوعات ولا يعنيه التفصيل .

ولئن صح هـذا فلا تثريب على « ابن قتيبـة » فى اختصاره ، ولا تثريب عليه فى أنه لم يُطل .

(٤)

لقـد كان « ابن قتيبة » — شأنه شأن الرواة والمؤلفين القـدامى — ينقل ما ينقل راويا عن الرواة .

وكان هذا نهجه فى سائر الكتاب غير بابه الأول « مبتدأ الخلق » .

(١) فهو فى هذا الباب الأول اعتمد على الإسرائيليات كثيرا ، يصرح بنقله عن التوراة حينا ولا ينقل عنها بنصها ، ويصرح بنقله عن «وهب بن منبه» حينا آخر .

(٢) وما عاصر « ابن قتيبة » « وهب بن منبه » ولا أخذ عنه . ف « وهب » كانت وفاته سنة ١١٠ هجرية ، أى قبل ميلاد « ابن قتيبة » بنحو من قرن تقريبا .

(٣) ولقد نقل غير « ابن قتيبة » عن « وهب » كالطبرى بمثل هذا السند المنقطع ، كثيرا من الأخبار التى نقلهـا « ابن قتيبة » من هذه الإسرائيليات ، فإلى « وهب » يُعزى الكثير منها ، كما عُزى إلى « كعب الأحبار » .

(٤) وكما لم يُعْنَ المؤرّخون القدامى بتحليل هذه الإسرائيليات ، وإنما اكتفوا بروايتها ، فحسب ، كذلك فعل «ابن قتيبة» هو الآخر ، وكان فى استطاعتهم أن يجرّدوا هـذه الإسرائيليات ممـا ينافى العقل ويأباه المنطق . ولقد كان بين يدى المؤرّخين المسلمين — ومنهم « ابن قتيبة » — القرآن الكريم يريحهم من كثير ممـا أوردوا ، لو التزموا ما أورد القرآن من سيرة الأنبياء ، ولم يكلفوا أنفسهم العناء فى رواية غيره .

وإذا جاوزنا هذا الباب الأول إلى غيره من الأبواب الأخرى رأينا « ابن قتيبة » لا يذكر مرجعا، فهو لم يقل : من أين أخذ حديثه عن أنساب العرب ! لا يذكر هناك شيخا أخذ عنه ولا مرجعا رجع إليه .

حتى إذا ما جاوز ذلك إلى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم استقامت لنا خطة « ابن قتيبة » .

(١) فهو يصرح باسم « ابن إسحاق » أول من ألف فى السيرة ، المتوفى سنة ١٥٢ هـ .

(٢) كما يصرح باسم « الواقدى » صاحب المغازى المتوفى سنة ٢٠٧ هـ .

وبذلك نستطيع أن نجزم بأن « ابن قتيبة » اعتمد فى هذا الباب على كتابين، الأول لابن إسحاق فى السيرة، والثانى للواقدى فى المغازى .

وإذا ما جاوزنا ما نقله عن التوراة وما نقله عن ابن إسحاق والواقدى رأينا « ابن قتيبة » :

(١) يقف أحيانا موقف الراوى بالسند متصلا، وهو الراوى الأخير فيه .

(٢) وأحيانا يسوق السند متصلا دون أن يكون هو موصولا به .

وهو على تلك الحال الثانية يفيدنا أحد شيئين :

(١) إما أنه عثر على هذا الخبر بسنده فى مرجع ما فنقل الخبر بسنده ولم يشر إلى المرجع .

(٢) وإما أن هذه الأخبار — وهى فى عهدها الأول عهد الرواية — كانت ملكا لأن يستغلها كل مؤرخ ، فاستغلها « ابن قتيبة » ، وهو واحد من هؤلاء المؤرخين القدامى، لا يعنيه أن يسبقه واحد بتدوينه .

وإنا إذا ذكرنا أننا بين يدى كتاب قديم، فنحن لا نطمع فى أكثر مما فعله «ابن قتيبة» .

(٥)

وقد جهدت أن أجمع لهذا الكتاب أصوله الخطية ما وسعنى الجهد، لا أستثنى تلك المخطوطات التى اعتمد عليها «وستنفلد» ، فإذا بين يدى منها سبع مخطوطات . وقد عرَّفت بها .

ثم لم ألبث بعد أن فرغت من الكتاب أن وقع لى منها ثلاث، وهى :

(١) نسخة رضا رامپور ، برقم ٣٥٢٨ (الهند) .

وهى ١٨٢ ورقة ٢٥ سطرا ١٧,٥ × ٢٦ سم .

وتاريخ نسخها سنة ٥٠٠ هـ .

والأوراق الأخيرة بخط نسخ قريب من التجويد . والنسخة كاملة النقط ، بها ضبط قليل يكاد يكون كله على ما غمض من الحروف .

وبها طمس كثير ذهب ببعض الأسطر وطغى على جزء من الصفحات، كما طغى على معظم صفحات أخرى .

وهى ناقصة من أولها .

وسائر النسخة بخط بين المشرقى والمغربى غير مجوّد مع عناوين بالخط الكوفى القريب إلى التجويد .

وهى قريبة الشبه بالمخطوطة (ق) التى عثرنا عليها فى دار الكتب المصرية .

(٢) نسخة الأحمدية — جامع الزيتونة برقم ٥٠١٧ (تونس) .

وهى فى ١٣٥ ورقة ١٧ × ٢٣ سم . ٢٤ سطرا .

وتاريخ نسخها سنة ٦٠٠ هـ .

والنسخة بخط أقرب إلى الكوفى، وإن لم يجر على قواعده كلها، مشكولة شكلا يكاد يكون تاما .

وعلى هامشها بعض تعليقات تشير إلى مراجعتها على نسخة أخرى . ويضطرب العنوان فى صفحتها الأولى فيكتب مرة باسم « عوارف المعارف » ثم يضرب عليه ويكتب بدله بخط آخر « كتاب المعارف » .

وهذا العنوان الجديد يبدو أنه هو خط مراجع النسخة ومعارضها .

وتكاد تتفق هذه النسخة مع نسخة (ل) التى عثرنا عليها فى المتحف البريطانى، فهما تحملان عنوانا واحدا، وتكاد تكون الأخطاء هى الأخطاء .

(٣) نسخة مكتبة الفاتح باستانبول رقم ٤٤٤ .

وهى فى ١١٧ ورقة ١٣ × ١٨ سم . ٢٠ سطرا .

وهى مكتوبة بخط نسخ قديم، ناقصة من أولها . وأول ما فيها الكلام على معاوية بن يزيد بن معاوية .

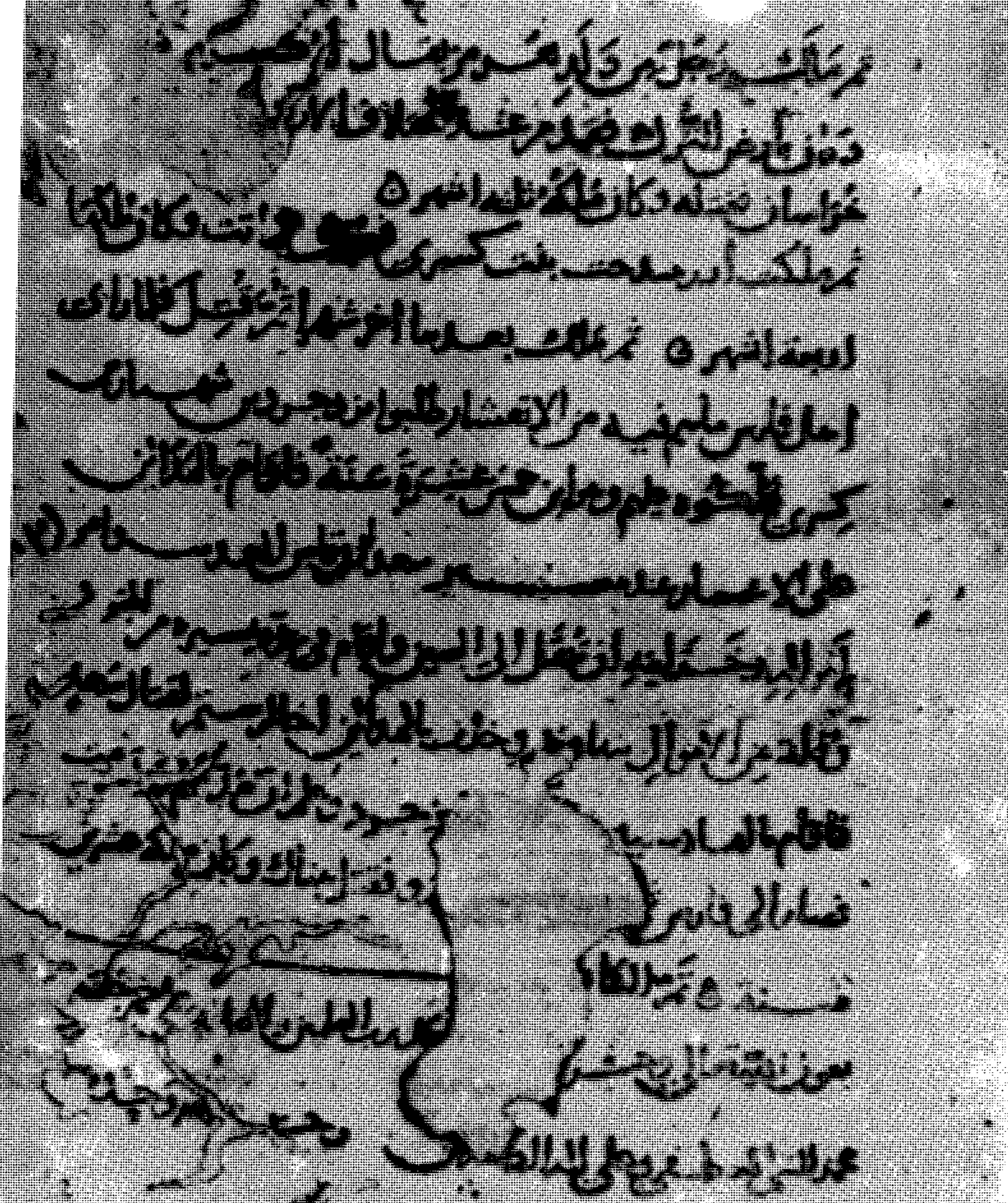
ويبدو أن هذا المخطوط يرجع أصله إلى مصدر آخر، إذ لا تشابه بين نهجه وبين نهج المخطوطات التى بين أيدينا .

وبهذا المخطوط كثير من الأخطاء التى نظن أن المرجع فيها إلى الناسخ .

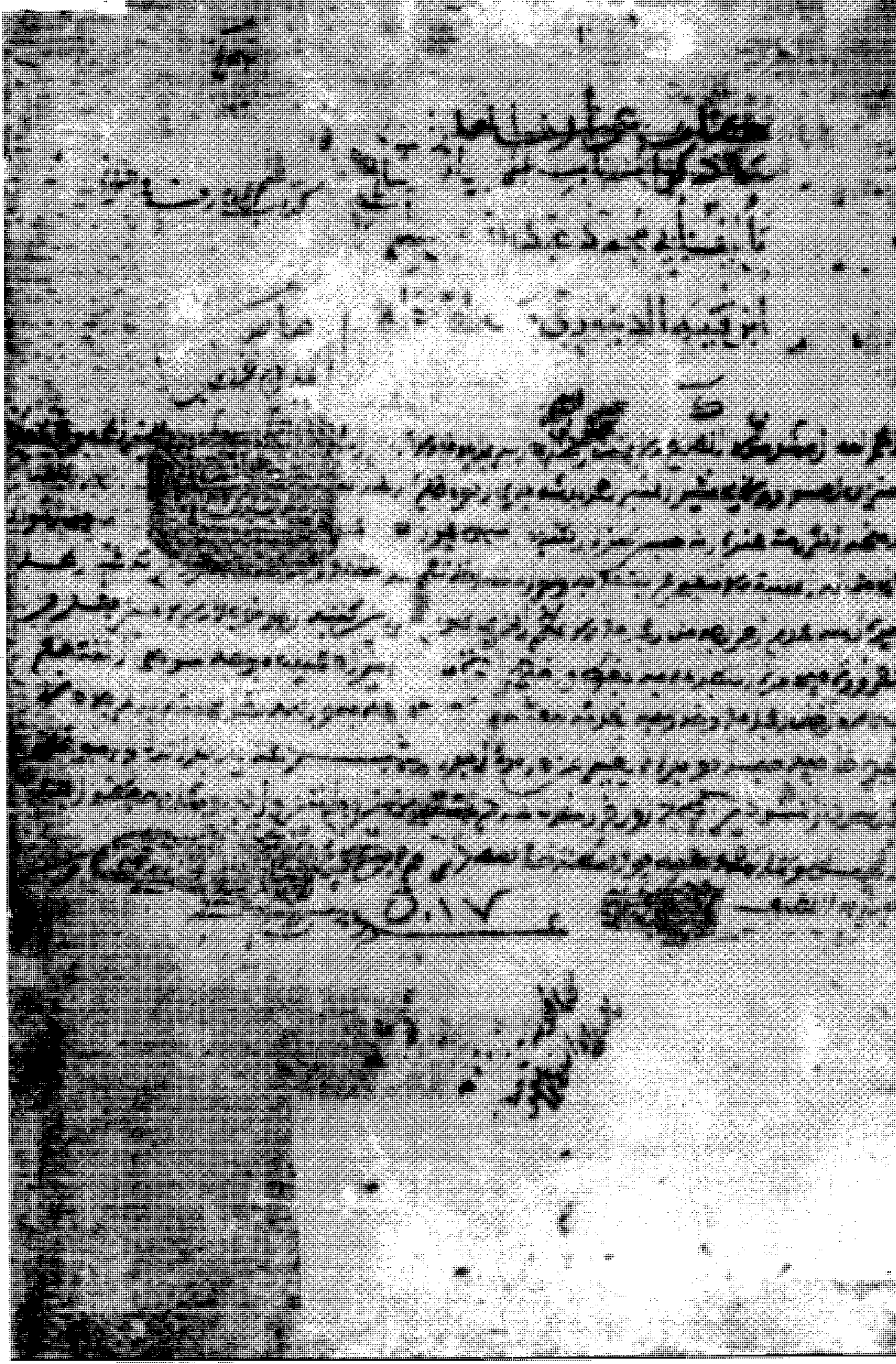


[illegible] بعث رسول [illegible] صلوات الله عليهم [illegible] الفترة بعده .
[illegible] بذكر انساب العرب مختصرا لذلك ومقتصرا على [illegible]
[illegible] البطون ثم اتبعته اخبار رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونسبه وذكر مولده [illegible] وجده لابيه وجدته لامه
[illegible] آثاره [illegible] واولاده [illegible] واحواله في مولده ومبعثه
[illegible] الى ان قبضه صلى الله عليه وسلم واخبار العشرة [illegible]
[illegible] الله عليهم ثم الصحابة المشهورين ثم الخلفاء [illegible]
ابن ابي سفيان الى [illegible] المعتمد والمشهورين من صحابة [illegible]
والخارجين عليهم من الخوارج ثم التابعين ومن بعدهم من [illegible]
واصحاب الرأي ومن عرف منهم بالرفض والتشيع [illegible]
واصحاب القراءات من اهل الحجاز ومكة والعراقين [illegible]
والنسابين [illegible] الاخبار ورواة الشعر الغريب واصحاب
النحو [illegible] من الصحابة والتابعين [illegible]
[illegible] مرور الايام . وذكرت المساجد المشهورة
الكعبة وبيت المقدس ومسجد المدينة ومسجد البصرة
ومسجد الكوفة ومسجد دمشق [illegible]
[illegible] جزيرة العرب وحدود السواد والجزيرة
[illegible] تهامة واخبرت عن
[illegible] صلح . [illegible]
[illegible]

الصفحة الأولى من نسخة « رضا رامبور » بالهند



الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة « رضا رامبور » بالهند



الصفحة الأولى من نسخة المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة بتونس

وجهضم لامرئ سر وان الفنا سبغ بالبنان أرداتها

وشجعها بما لا يقول هذا فلما يكون تيسا لا دعو دعا بال الانا

ولم يتأسوا المغيرة بن شعبة يكنى أبا عبد

وهو من ثقيف وعمه عروة بن مسعود الثقفي وكان عروة اسلم

على عهد رسول الله ودعا قومه الى الاسلام فقتلوه فقال

صلى الله عليه وسلم هو شبيه من آل ياسين وكان المغيرة صحب

قوما من المشركين الى مصر فقتلهم غيلة واخذ ما معهم واتى

النبي عليه السلام وشهد بيعة الرضوان وشهد اليمامة وفتح

الشام واليرموك والقادسية وولاه عمر البصرة ففتح ميسان

وأبو الحسن البصري وأبو محمد بن سيرين من سبي ميسان

وافتتح دستميسان وابرقباذ وسوق الاهواز وهمذان وشهد

بدرا وكان على منبر البصرة وهو اول من وضع

ديوان البصرة ويقال انه احصن ثلاثمائة امرأة وقيل الف

امرأة فقالت هو والله

[illegible]

عبد الرحمن بن يزيد فكان من افضل اهل زمانه ولكنه لم

واما معويه بن يزيد فولي الخلافة بعد يزيد وهو ابن سبع

عشر سنه ولم يعقب [illegible] معويه

قال ابن اسحق وليها عشرين يوما ويكنى ابا ليلى

وفيه يقول الشاعر الملك بعد ابي ليلى لمن غلبا

ولا عقب لمعويه بن يزيد وعقب يزيد من غيره [illegible]

[illegible] ولما مات معويه بن يزيد بن معويه بايع

الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف

بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر

بن مالك بن النضر بن كنانة وكان يكنى ابا عبد الملك

وابوه الحكم بن ابي العاص طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم

واسلم يوم فتح مكة ومات في خلافة عثمان وكان سبب

طرد رسول الله صلى الله عليه اياه انه كان يفشي سره

فلعنه ونفاه الى الطائف فلم يزل طريدا حياة رسول

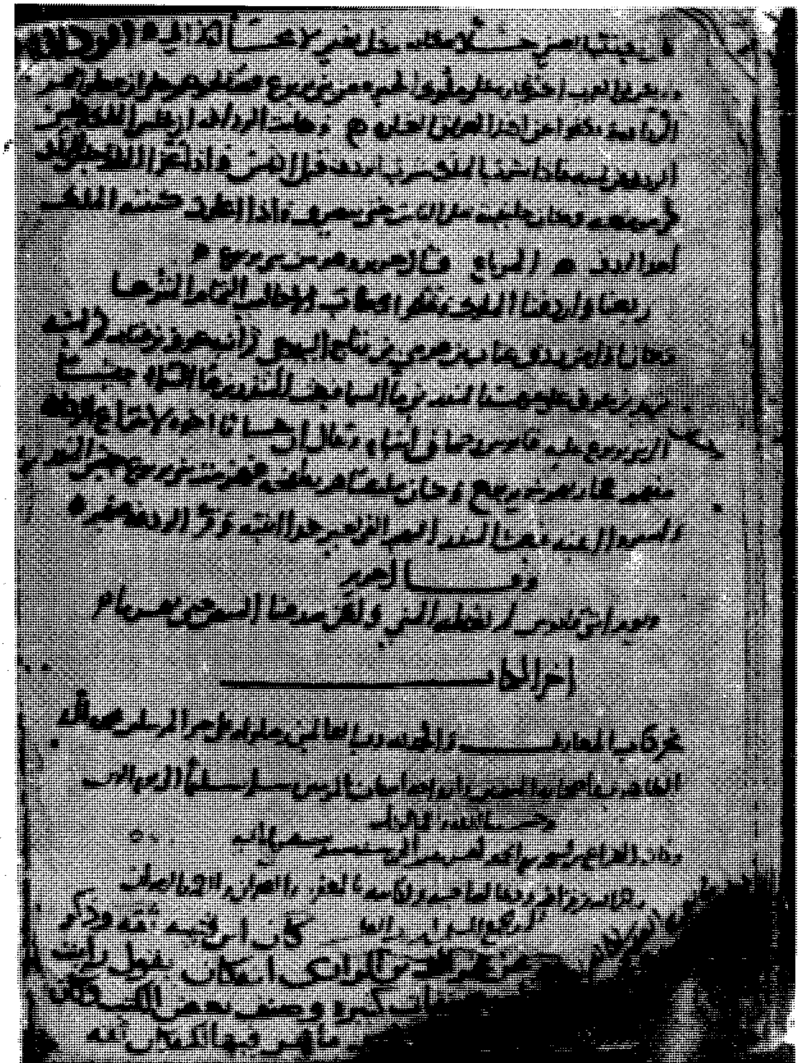
الله صلى الله عليه وخلافة ابي بكر وعمر فرده

عثمان واعطاه مائة الف درهم وكان للحكم من الولد

واحد وعشرون ذكرا وثمان بنات وكان

مروان بن الحكم ولد لسنتين خلتا من الهجرة

الصفحة الأولى من نسخة جامع الفاتح باستانبول



الصفحة الأخيرة من نسخة جامع الفاتح باستانبول

*
* *

وأرانى، و إن فاتنى الرجوع إلى هذه الأصول الثلاثة أولا، قد رجعت إليها آخرا، ولم آسف على هذا الذى فاتنى كثيرا لأنى لم أجد خلافا يغير شيئا، و إن كنت قد أسفت حين فاتنى أن أضم إلى وجوه الخلاف التى بالهامش نسخا أخرى تحمله .

ولكنى قد حرصت أن أعرِّف بتلك النسخ الثلاث ، وأن أكبِّر منها بعض اللوحات لأضمها هنا إلى المقدمة قبل إصدار الكتاب .

(٦)

و بعد . فها هو ذا أثر من آثار « ابن قتيبة » الأديب العالم المؤرخ .

(ا) أما عن أدبه فحسبنا جميعا كتابه «أدب الكاتب» وخطبته الطويلة التى صدَّر بها الكتاب . وحسبنا تلك الشهادة التى شهد بها عالم جليل، هو ابن خلدون حيث يقول :

« وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول هذا الفن — يعنى الأدب — وأركانه أربعة دواوين، وهى :

(١) أدب الكاتب لابن قتيبة .

(٢) الكامل للمبرد (٢٨٥ ﻫ) .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ (٢٤٥ ﻫ) .

(٤) النوادر لأبى على القالى (٣٥٦ ﻫ) » .

وحسبنا ما جمعه « ابن قتيبة » من كتب فى الأدب مثل « عيون الأخبار » و « الشعر والشعراء » . وآختيار المرء قطعة من عقله وذوقه، كما يقولون .

(ب) وأما عن علمه فحسبه كتبه فى الحديث والقرآن وغيرها من كتب فى الأشربة والميسر والقداح .

(جـ) وأما عنه مؤرخا ، فحسبه هذا الكتاب « المعارف » .